تاريخ الابل في ضوء المخلّفات الآثارية والكتابات القديمة

رضا جواد الهاشمي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

مقدمـة

تشير بدايات تدجين الابل وأستخدامها في حركة المواصلات البريه الى تغير نوعي كبير في حياة شعب ومنطقة معينين في الشرق الادنى القديم ، فالمنطقة هي جزيرة العرب ، والشعب هم العرب ضمن آفاق تاريخهم القديم .

لذلك ، فنحن عندما نؤرخ للابل ، انما نؤرخ لمنطقة وشعب يفتقران المعلومات التفصيلية المتكاملة في تاريخهما البعيد ، ولما كان هـذا السبب بالذات ، بالاضافة الى ما للابل نفسها من أهمية ، أن أخترناها من بين الحيوانات الكثيرة التي عرفتها مراكز الحضارات القديمة عامة ، والعربية منها بوجه خاص.

فالابل حيوانات العرب الاولى « يأكلون لحومها ويشربون من ألبانها ويكتسون من اوبارها ويقومون بها ثروتهم ، ويفتقدون بها أسرارهم ويمهرون بها في الزواج ، ولجميع هذه الاسباب أهتموا بتربية الابل وكيفوا حياتهم وفاقا لحياتها ، ورحلوا من مكان لآخر من أجلها ، وبنوا كثيرا من لغتهم عليها ، وضربوا فيها الامثال الكثيرة ، وتغنى الشعراء في وصفها وحدائها ، وكان للعرب أيضا الخيل يعنون بها ، ولكنها كانت متاع المترفين ، بينما كانت الابل متاع العرب جميعا »[1] . فلا عجب ، وعلاقة الابل بالعرب بهذا الشكل الوثيق ، أن نجد الاطناب في الحديث عنها وعن صفاتها واسمائها ونعوتها في كل ما نمى الينا من تراث العرب المدون شعرا كان أم اثرا .

وسيتضح لنا من سياق هذه الدراسة ، أن هذه الصلة الوثيقة بين العرب

---

(١) علي حسني الخربوطلي : العرب والحضارة ص ٢٩ .

وهذا الحيوان أنما ترجع في قدمها الى بدايات تدجينه واستخدامه على نطاق واسع في حركة المواصلات البرية في طول وعرض الجزيرة العربية من جانب ، وبين مراكز الحضارات الشرقية عبر اراضي الجزيرة العربية من جانب آخر .

ان العرب أمة قديمة في وطنها الاصلي الجزيرة العربيـة ، واذا كانت الدلائل اللغوية التي تعتمد مدونات اللغة العربية لا تساعدنا بالتوغل بعيـدا لمعرفة أصول العرب القديمة أكثر من الحدود التاريخية لنقش النساره الذي يعد النص العربي الاقدم الذي وصل أيدي الباحثين لحد الان ، ويرجع زمنه لحدود عام ٣٢٨ م[٢] ، فان الكتابات المسمارية من العهد الاشوري ترجع بنا في أصل العرب الى فترة أبعد بكثير من تاريخ نقش النساره وذلك لحـدود القرن التاسع ق . م . وهي الاشارة الاولى صراحة الى العرب كقوم متميزين من شعوب الشرق الادنى القديم ، في نص للملك الاشوري شلمنصر الثالث يؤرخ بعام ٨٥٣ ق.م[٣] ، ثم تتوالى الاشـارات في النصوص الاشـورية الى العرب وأسماء قبائلهم وآلهتم ومدنهم وملكاتهم وتصف لنا بلادهم وخيراتها وثرواتها وحيواناتها ، وبالتالي ، فان معلومات الكتابات الاشورية تشير الى العرب بشكل لا يرقى اليه الشك ، ولكن ليس بدليل اللغة ، وأنما بدليـل الاسم والمقومات الحياتية التي بقي جانب منها ملازم لحياة العرب حتى الوقت الحاضر ، ونقصد بها الاشارة الى الابل وعلاقة العرب اللصيقة بهذا الحيوان .

لذلك سنجد في دراسة تاريخ الابل ـ حيوانات العرب الاولى ـ والتي أرتبط ذكرها وأستخدامها وأنتشارها في الارضين بالعرب وحدهم دون سواهم

---

(٢) د . هاشم سعدون الطعان : الادب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغـة الموحدة (اطروحة دكتوراه غير مطبوعة قدمت الى مجلس كلية الاداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٦) ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٣) رضا جواد الهاشمي : « العرب في ضوء المصادر المسمارية » مجلة كلية الاداب ـ جامعة بغداد العدد/٢٢ السنة ١٩٧٨ ص ٦٣٩ ـ ٦٨٣ .

من شعوب الشرق الادنى القدماء ، أنما نعتمد بذلك على دليل داخلي قوي يمكنه ان يصل بنا مع تاريخ العرب لبضعة قرون تسبق أقدم الاشارات في النصوص الاشورية . فان أعتماد ظهور الابل كحيوانات مدجنة : أشارة صريحه الى العرب بأنهم كانوا وراء تدجينه ، سيكون قياسا منطقيا مقبولا ، واذا كان افتراضنا هذا واردا ومقبولا ، فيعني أننا نستطيع أن نؤرخ لبدايات العرب التاريخية الاولى على مسرح الاحداث الانسانية لعالم الشرق الادنى القديم بحدود الالف الثانية ق . م . وهو تاريخ يسبق ما درجنا عليه باعتماد النصوص الاشورية ، بألف سنة .

ان قوما ــ ونقصد بهم العرب ــ بقوا محافظين على خصائصهم اللغوية والاجتماعية والثقافية ، وكثيرا من طباعهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وقوما توارثوا تراث حضارات الشرق الادنى القديم ، وبخاصة جانبها اللغوي ، ان شعبا بهذه الخصائص والمواصفات لا يمكن عدّه من الشعوب المتأخرة زمنيا في معاصرتها للاحداث وأنما يجب السعي بكل الوسائل العلمية الممكنه للتفتيش عن جذور هذا الشعب الدفينة بين طيات الماضي القديم .

لذلك أعتمدنا تقديم هذه الدراسة التاريخية الآثارية عن الابل ، والتفتيش عن أثر هذا الحيوان في المظآن المختلفة من مصادر لغوية ورسوم وأعمال نحت ، لنصل الى صورة واضحة قدر الامكان عن هذا الحيوان من حيث تاريخه وتدجينه واستخدامه وانتشاره وعلاقته بالشعوب القديمة المختلفة، كما أننا نعتقد من أهمية هذه الدراسة ، أنها سوف لا تكشف عن أصول تاريخية قديمة للعرب فحسب . وأنما يمكنها أن تكون توطئه لدراسة أوسع لتاريخ العرب القديم في مجمل نشاطهم الحضاري ، وبخاصة نشاطاتهم الاقتصادية والتجارية ، وما يستتبع هذه النشاطات بالضرورة من صلات

ومؤثرات حضارية . فقد كان العرب وبسبب اعتمادهم الابل محور هـذه النشاطات لفترة زمنية طويلة من تاريخ منطقة الشرق الادنى القديم[٤] .

أصل الابل وموطنها الاول :

الابل من الحيوانات الثديية المجترة ، وتشكل مع حيوان اللاما الاميريكي (الجمل الامريكي Auchenia Llama) الجنوبي عائلة تعرف باسم Camelidoe . وهناك نوعان رئيسيان من الابل ، أحدهما ذو سنام واحد وهو الجمل العربي (Dromedry, Camelus Dromedarius) والاخر ذو سنامين ويعرف بالجمل البكتري*

(Bactrian Camel, Camelus Bactrianus)

وقد ثبت علميا بعد كشف متحجرات كلا الصنفين ، أن لكل منهما أصوله الوحشية الخاصة به[٥] ، ومما يؤيد ذلك معرفة العرب ببعض الابل الوحشية التي أسموها بأبل الوحش يقولون عنها أنها من بقايا ابل عاد وثمود[٦] ، كما لا تزال بعض الجمال من النوع البكتري بحالتها الوحشية في مناطق جنوب غرب منغوليا لحد وقتنا الحاضر[٧] .

ان الجمل العربي هو الصنف الاكثر شيوعا ، وتمتد مناطق أستخدامه من

---

(٤) رضا جواد الهاشمي : نفس المصدر .

(*) ومن الاسماء التي أطلقها العرب على الجمل ذي السنامين ، العصفوري والفلج واليعلول (حسين يوسف موسى) وعبدالفتاح الصعيدي : الافصاح في فقه اللغة : ج٢ دار الفكر العربي باب الابل ص ٧٠٦ – ٧٧٤) .

(٥) R. J. Forbes, Studies in Ancient Technology, Vol. II, Brill, Leiden 1955 P. 187.

(٦) الشيخ كمال الدين الدميري : حياة الحيوان الكبرى ج١ ص ١٥ القاهرة ١٩٥٨ .

(٧) الانسكلوبيديا السوفيتية الكبرى ، الطبعة الثالثة ، المجلد الرابع موسكو ١٩٧١ ص ٥٢٤ .

منغوليا وشمال غرب الهند وخلال جنوب أواسط اسيا واسيا الصغرى والجزيرة العربية وشمال وشرق أفريقيا وفي بعض مناطق اسبانيا •

أما الوطن الاصلي للجمل العربي فأمر غير مؤكد ، ولكن نظرا لكونه أكثر ملائمة للمناطق الرملية من الجمل البكتري ، فهو يتواجد بكثرة في المناطق الصحراوية ، وكأن الجمل في وطنه الاصلي في بلاد العرب[٨] •

أما عن موطن الاصول الاولى للابل والتي أنحدرت منها بعدئذ الجمال العربية والبكترية فهو شمال أمريكا • فبسبب القدرات العالية لهذا الحيوان على التكيف للاحوال المناخية ، لذلك نجحت الاصول القديمة للابل من عبور مضايق بورنغ خلال فترات الزحفات الجليدية ، حيث كانت المضايق وقتها مغطاة بالجليد الذي سمح بالاتصال بين قارتي أمريكا واسيا • فهاجرت الجمال لتنتشر في مناطق واسعة من اسيا • ومما يؤكد تطبع هذا الحيوان لدرجات حرارة متفاوتة ، تكيف الجمل البكتري للمناطق الباردة والثلجية بينما تكيف الجمل العربي للمناطق الحارة والجافة[٩] وان معظم متحجرات هذا الحيوان تشير الى أنه لم يتحول بعد الى حيوان صحراوي • بدليل اكتشافها بمعية متحجرات لحيوانات مثل الفيل والجاموس والبيزون والحصان والغزال[١٠] •

وتشير المعلومات العلمية المتيسرة عن هذا الحيوان ، الى انفصال بعيد زمنيا بين النوعين المعروفين ، العربية منها والبكترية ، وان تطورهما اللاحق واكتسابهما صفات جسمية وبايلوجية نمت من تواجدهما في بيئات مختلفة[١١] وذلك يسمح لنا بالافتراض بقدم أستيطان الجمل العربي في جزيرة العرب •

---

(٨) Forbes, op. cit. p. 188.

(٩) Robert Raikes: Water, Weathe and Prehistory, London 1967 P. 101 ff.

(١٠) A. E. Robinson: "The Camel in Antiquity" in Sudan Notes and Records, 19 Part I (1936) P. 50.

(١١) R. Raikes: ibid.

ومهما يكن من أمر الوطن الاصلي للابل ، وكذلك من أمر هجرته وطرقها التي أفضت بالنوع العربي منه أخيرا الى جزيرة العرب كموطن ملائم لنموه وتطوره[١٢] . فان أقدم أثار للابل في المنطقة العربية ترجع الى اواخر العصر الحجري الوسيط وبداية العصر الحجري الحديث كما سنتطرق الى ذلك تفصيلا عند الحديث عن الابل في الآثار .

أن الامر الاخر المهم عند الحديث عن الابل هو موضوع ارتباطها بالانسان ، أي عملية تدجينها وأستئناسها ، وعند هذه النقطة الجوهرية من دراسة تاريخ الابل ، يبرز دور العرب ودور بلادهم كأقدم ما هو متوفر لدينا في هذا الموضوع . لذلك يكون الحديث عن الجمال الوحشية لا يعنينا قدر أهمية الحديث عن الابل المدجنة ، لانه مع تدجين الابل وضمن الواقع البيئي والجغرافي الذي يعيشه العرب ، تتفتح افاق جديدة اقتصادية واجتماعية وحضارية بالنسبة لسكان الجزيرة من العرب القدماء .

خصائص ومواصفات الجمل العربي :

الجمل حيوان فريد الخلقه والخلق ، يتميز بسرعة عن سائر الحيوانات ، أضافة لكونه من الحيوانات النادرة له كثير من الخصائص والمميزات التي يندر اجتماعها في حيوان خدم الانسان مثلما تقدمه الابل من خدمات ، ولربما أكتسب بعض خصائصه المتميزة من الارض العربية التي عايشها منذ فترات زمنية بعيدة ، وربما أيضا ، بسبب هذه الخصائص ، قامت العلاقة الفريدة من نوعها بين العرب والابل ، والتي لا تدانيها ولا تشبهها علاقتهم ببقية الحيوانات فلم تعرف حياة العرب حيوانا نال تلك الشهرة والاهمية عندهم مثلما نالها الجمل .

---

(١٢) Robinson: op. cit. P. 49 ff.
فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ترجمة جورج حداد بيروت ١٩٥٨ ص ٥٥ .

واذا كانت الخيل قد أفادت العرب في النقل القريب والصيد والحرب ، ونفعهم الحمار في النقل ، ففائدة الابل لهم في النقل والحرب والاكل والشرب والسكن • واذا كانت حيوانات العرب الاخرى تحتاج الى رعاية وحماية وطعام وشراب وخدمة يقدمها العربي لقاء أتعابها ، فالجمل هو ذلك الحيوان الصبور الخدوم الذي يقدم للعربي كافة أشكال المنفعة المرجوه من سائر الحيوانات دون مقابل • فطعامه مما تعافه سائر الانعام ، ويسعى اليه بنفسه ، وشربه نزر قليل لفترات متباعدة ، ويحمل من الاثقال والامتعة أضعاف ما تحمله حيوانات النقل ، وبسبب جلده وصبره ومثابرته ، فأنه يقطع مسافات أطول من قدرة بقية الحيوانات ، أضافة الى انه يسلك مناطق في أرض العرب تعجز بقية الحيوانات على ارتيادها • وهو اخيرا ينافس الخيل كحيوان للحرب بالاضافة الى خدماته الكبيرة في أوقات السلم •

لقد جاء التركيب البايلوجي لجسم الجمل العربي ، ومواصفات بقية أعضاء جسمه متفقة تمام الاتفاق مع البيئة الصحراوية الجافة الحارة • فأن ارتفاع جسم الجمل العربي وقصر وبره وقلته متفقان مع حياته الصحراوية ، فان بعد الجسم عن أشعاع الارض الحارة يقلل من فقدها للماء ، وهو أمر جوهري في حياة الصحراء وأحيائها • ان سيقان الجمل العربي أطول من مثيلتها عند الجمل البكتري ، بينما يكون وبر الاخير أغزر وأطول • ويبلغ معدل ارتفاع الجمل العربي الى حدود الكثف حوالي ٢ م ، بينما يبلغ معدل ارتفاع النوع البكتري الى قمة الحدبه حوالي ٢ م[١٣] •

والجمل البكتري أصغر حجما ، وبناء جسمه أشد ثقلا ، بسبب ظلفه المشقوق ، وطول وغزارة وبره ، فهو أكثر ملائمة للمناطق الصخرية الباردة حيث

(١٣) The new Encyclopedia Britanica Vol. II, Chicago 1973 P. 480.

يستطيع تسلق المناطق الجبلية والصخرية بقدرة فائقة ، بينما يعد الجمل العربي غير ذي نفع في مثل تلك المناطق[١٤] .

وتتأكد هذه المقدرة في تسلق الجبال عند الجمال البكترية من وصف الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢٤ ــ ٧٠٥ ق . م .) لها بقوله « الجمال المحملة تتسلق قمم الجبال مثل الماعز الوحشي »[١٥] . بينما عكس ذلك تماما مع الجمال العربية ، حيث يوضح هذه الحقيقة فيها الجاحظ بقوله « ومن العجب أن رجال الروم تصلح في البدو مع الابل ودخول الابل بلاد الروم هو هلاكها »[١٦] وكأن الجاحظ يريد من ذلك البلاد الجبلية البارده ، وهي الصفة الغالبة على اسيا الصغرى المقصودة في كلام الجاحظ ببلاد الروم .

ان الاقسام الصلبة الغضروفية في أطرافه وصدره وركبه جاءت ملائمة تماما لمعيشته الصحراوية ، كذلك مزايا فمه وأسنانه التي تلائم اقتطاع النباتات الشوكية والجافة والقصيرة في الصحراء . ويذكر العرب أنه حيث أراد الله لها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى أن ظمأها ليرتفع الى العشر وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري مما لا يرعاه سائر البهائم[١٧] .

وتتميز عيون الابل بجفونها الطويلة التي تشكل مظلة واقية لحماية عيني الحيوان من أشعة الشمس المحرقة ورمال الصحراء عند هبوب الرياح العاتية ، كما تستطيع تلافي دخول الرمال والاتربة الى أنوفها بقدراتها الفائقة على غلق ثقوب انفها المائلة .

أن اوضح تركيب في جسم الابل يشير الى موالفتها لحياة المناطق

---

(١٤) Forbes, op. cit. P. 188.

(١٥) D. D. Luckenbell, ARAB. Vol. II P. 75 New York 1968.

(١٦) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٣ ، ص ٤٣٤ .

(١٧) الدميري : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٤ .

الصحراوية الجافة يتمثل في تركيب المعدة ، فأبرز ما فيها جيوب لخزن الماء تموّن جسم الحيوان بحاجاته من الماء في الرحلات الطويلة عبر المناطق الخالية من الماء(١٨) .

يحمل الجمل ضعف ما يحمله البغل ، وتصل قدرته على حمل حوالي (٥٠٠) كغم . وتسير قوافل الابل التي يصل تعدادها الى (١٠٠٠) بعير احيانا، مسافة ٥ر٢ ميل في الساعة(١٩) .

وميّز العرب بين نوعين من ابلهم ، الابل التي يستخدمونها مطايا ـ والواحد منها الذلول ـ والابل التي يستخدمونها في حمل الاثقال وهي الكثرة المعروفة من الجمال ، وتصل المسافة التي يقطعها الذلول في (٢٤ ساعة) لحوالي (١٣٠ كم)(٢٠) . وهكذا ففي الوقت الذي يستخدم فيه الجمل العربي للنقل والركوب ، فان الجمل البكترى أكثر أستخداما لنقل الحمولة . وعلى الرغم من ضعف مقدرة الصنفين من الجمال على الحركة السريعة الضرورية في أوقات الحرب . فان الاشارات التاريخية المتوفرة تؤكد أستخدام العرب للابل في حالات الحرب بكثرة ، بخاصة وان لها القدرة في التوغل لمناطق صحراوية وجافة لا تستطيع جيوش الاعداء وحيواناتهم التي يغلب عليها الخيل من ملاحقتها(٢١) .

---

(١٨) The Encyclopedia Americana, Vol. 5 P. 257. New York Chicago 1948.

(١٩) Ibid.

(٢٠) ي . أ . بلياييف : العرب والاسلام والخلافة العربية : ترجمة أنيس فريحه : الدار المتحدة للنشر بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٨٧ .

(٢١) أن أقدم الاشارات الى العرب في النصوص الاشورية ذكرتهم محاربين من على ظهور جمالهم ، كما وردتنا صور المعارك بين الاشوريين وبين العرب وهم يقاتلون من على ظهور ابلهم (للتفاصيل راجع : رضا الهاشمي : العرب في ضوء المصادر المسمارية ، المصدر السابق) كذلك :
J. Pritchard The Ancient Near East in pictures: pl. no. 375, 63.

ومن خصائص الجمال العربية تحملها للظمأ ، فمعظم الابل تسير ثلاثة ايام متواصلة دون ورد ، وفي الصومال ، تسير الجمال بانتظام معدل (٥ ــ ٦) يوم دون ان ترد الماء[٢٢] .

ان موضوع تحمل الابل للظمأ نقطة جوهرية في علاقة العرب بهذا الحيوان ، وبخاصة في موطن العرب الاول ــ الجزيرة العربية ــ التي تغطي حالة الجفاف وندرة الماء مساحات شاسعة منها تقدر بأربعة اخماس مساحتها ، لذلك فالابل التي تبدي مقاومة أشد وأطول للظمأ ، ستكون خدماتها للعربي أوفى وأوسع من غيرها . وبسبب من ذلك فقد أولى العرب موضوع ورد الابل عناية كبيرة وأشتقوا من لغتهم تسميات خاصة لآماد الورد .

فاذا شربت الابل يوما وغبّت يوما فذلك الغِبّ ، والثلث في مواردها ظمء يومين مع شربتين ، والابل روابع وصاحبها مربع وقيل الرِبّع ، أي تحبس عن الماء أربعا ثم ترد اليوم الخامس ، ثم كذلك الى العشر في الابل وأصحابها ، فاذا زادت فليس لها تسمية وِرْدٍ ، ولكن يقال هي ترد عشرا وغبّا ثم كذلك الى العشرين . فاذا جازت العشرين فهي جوازىء[٢٣] .

ان قدرة الحيوان العجيبة هذه على تحمل العطش ، جعلته في موقع الخدمة الكاملة للعرب في نشاطاتهم المختلفة . وان الاهمية الكبيرة التي علقها العرب على موضوع ورد الابل تخضع لتفسيرين مرتبطين بحياة العرب ونشاطاتهم الحضارية المتميزة في تاريخهم القديم وبخاصة في المجالات التجارية. التفسير الاول يرتبط بأهمية الماء وقلته في بلاد العرب بشكل عام ، يضاف الى ذلك الكميات الكبيرة من الماء التي تشربها الابل عند مواردها ، مما قد تشكل خطرا على حياة بقية الحيوانات وربما على العربي نفسه ، لذلك يكون التأكيد

---

(٢٢) Forbes: op. cit. P. 188.

(٢٣) المخصص لابن سيده : الكتاب السابع كتاب الابل ص ١٥٨ .

على أهمية الابل التي تتأخر في وردها[٢٤] . اما التفسير الثاني والذي يرتبط بالاول ارتباطا وثيقا ويكمله ، فيبرز من خلال دور الابل في تسيير التجارة وعمليات النقل عبر مناطق أرض الجزيرة العربية وفيافيها ، وعندها أيضا تبرز أهمية الابل التي تتأخر في مواردها ، لانها تستطيع من قطع مسافات أطول دونما حاجة الى ماء ، وربما أتاح ذلك لاصحابها باجتياز مناطق جافة وقاحلة ، لكنها أقصر مسافة من غيرها من الطرق لغايات تجارية أو أمنية . واذا أضفنا الى ذلك حقيقة قدرة الجمل على تناول طعامه وهو يواصل سيره ، توضحت عندها أبعاد أهمية الابل التي تتأخر في موردها .

صحيح جدا ان الابل التي يتعدى وردها معدل (٥ ــ ٦) يوم ، ستقل قدراتها على السير الحثيث ، وربما تقل حتى امكانيتها على نقل الحمولة . ولكن لو أخذنا (١٠) أيام كمعدل وسط ما بين ثلاثة ايام وبين الابل الجوازىء التي يتعدى وردها العشرين يوما ، كذلك لو أعتمدنا مسافة (٣٠) ميل كمعدل لمسيرها اليومي بين رقمي المسافة (٢٥ ــ ٦٠ ميل) ، فيعني ذلك ان بمقدور الابل أن تسير كمعدل وسطي مسافة تبلغ حدود (٣٠٠) ميل دونما تزود بالماء، وهذا يمثل أحد الاسباب الجوهرية في جعل الابل في مقدمة حيوانات العرب ويصدق وصفها بسفائن الصحراء .

واذا أعتمدنا الهنيده ، وهو اللقب الذي أطلقه العرب على المائة من الابل، كقافلة موظفة في النقل التجاري ، وأعتمدنا أيضا متوسط حمولة ما بين ٢٥٠ ــ ٣٠٠ كغم للجمل الواحد ، تكون النتيجة ، أن القافلة الواحدة تنقل حمولة قدرها (٢٥٠٠٠ ــ ٣٠٠٠٠ كغم) ، واذا ما تذكرنا البضائع التي ساهم العرب بنقلها وتوزيعها الى مراكز الاسواق التجارية في العراق وسوريا وسواحل

---

(٢٤) يشرب الجمل خلال عشر دقائق حوالي (٢٥) غالون (حوالي ١٠٠ لتر) من الماء
Ency. Brit. op. cit. P. 480.

البحر المتوسط ، والتي كان اللبان والبخور والذهب والتوابل والاحجار الكريمة في مقدمتها ، نصل بالنتيجة الى تقدير جيد لدور العرب التجاري والمساهمة الكبيرة التي لعبها العرب في مجمل النشاط الحضاري لعالم الشرق الادنى القديم ، وأخيرا تتوضح خطورة الابل في مجمل هذه العملية .

ويبدو أن وصف الجمل البكتري بالغباء وقلة الانتباه[٢٥] أمر لا ينسحب على الابل العربية ، حيث تؤكد المصادر العربية التي تعرضت لهذا الحيوان بالتفصيل على شدة انتباهه ومقدرته على اقتفاء الاثر حتى في حلكة الليل ، ويمكنه التعرف على وجود الماء من مسافات بعيدة ، كما يتميز بشدة صبره ، مقابل هياجه الشديد وحقده الكبير على من يسيء اليه ، لذلك تعامل العرب مع هذا الحيوان بحذر شديد ، وبالمقابل فقد عرفه العرب مطيعا سهل الانقياد شديد الوفاء[٢٦] .

وأخيرا ، فالابل كالخيل سباحه بطبعها .

الابل في الآثار :

قبل كل شيء علينا أن نميز بين فترتين من تاريخ الابل العربية بالاستناد الى المخلفات الاثرية . الفترة الاولى ، اثار الابل الوحشية غير المدجنة ، والثانية ، أثار الابل المدجنة في علاقة وثيقة بالانسان .

---

(٢٥) Forbes: op. cit. P. 188.

(٢٦) نحيل القارىء لمعرفة تفاصيل ما اقتبسنا بعضه عن الابل الى الكتاب السابع « كتاب الابل » لابن سيده في مخصصة المعروف ، حيث يقع هذا الكتاب في (١٧٥) صفحة ، وفي علمنا انه أوسع المؤلفات اللغوية التاريخية العربية في الابل وهو بمعلوماته القيمة يغطي معظم تفاصيل حياة وطباع وخصائص الجمل ، بحيث لا نستطيع الا اضافة بعض الجوانب التاريخية المستندة لمكتشفات الاثار والمتحجرات وبعض ادلة اللغات القديمة : وهي امور لم تكن متوفرة عند المؤرخين المسلمين .

وعلى الرغم من أن جزيرة العرب هي الموطن المرجح لترعرع الاسلاف البرية للجمل العربي ، وهذا ما توحي به معظم المصادر المتوفرة ، لكن أرض الجزيرة العربية وسكانها القدماء يقصران عن تقديم الادلة اللازمة في هذا الموضوع ضمن أفقه التاريخي البعيد • ويرجع سبب ذلك الى عاملين رئيسيين كانا وراء أختفاء معظم أثار العرب القديمة في جزيرتهم ، أولهما : العامل الجغرافي المتميز لارض العرب ، والمتمثل في الارض الرملية الجافة التي يسهل نقل معالمها من مكان لاخر عند هبوب الرياح ، ويكون لها القدرة الكاملة على اخفاء المعالم البسيطة لسكان الارض العربية القدماء ، مثل مستوطنات العصور الحجرية القديمة والحديثة •

ويتمثل العامل الثاني في تأخر العرب عن التدوين مما يعرقل معرفتنا لجوانب كثيرة من حياة العرب وخصائصهم اللغوية القديمة ، وذلك يضطرنا للاستعانة بمدونات مراكز الحضارات المجاورة وبخاصة حضارتي العراق والشام لتتبع مجريات تاريخ العرب القديم • وربما تكون هذه الدراسة عن الابل محاولة في ذات الاتجاه •

لذلك كانت متحجرات الابل في المنطقة العربية قليلة جدا ، كما انها غير معروفه مطلقا من قلب الجزيرة العربية ، وليست في ايدي الباحثين سوى متحجرات النوعين (العربي والبكتري) من الجزائر والتي يرجع زمنها الى عصر البلايستوسين • كذلك تم العثور على أسنان جمل في الجليل بفلسطين بمعية جمجمة انسان من نوع النياندرتال • ان هذه المتحجرات بالاضافة الى متحجرات اخرى عثر عليها في مناطق في الصين تشير الى أن الجمل لم يكن وقتها حيوانا صحراويا وذلك لاكتشاف متحجرات فيل وجاموس وغزال في نفس الطبقات •

والاهم من ذلك ان هذه المتحجرات تشير الى حيوانات مصاده وليست

مدجنة[٢٧] ، ويبدو أن سبب قلة متحجرات الجمال هو قلة اعمال التنقيبات الاثارية في مواقع العصور الحجرية القديمة في منطقة الشرق الادنى عامة ، وفي الجزيرة العربية بشكل خاص .

أما أقدم رسوم للجمل العربي فقد طبعها خيال رسام البوادي الشمالية لجزيرة العرب على صخور منطقة (كلوه) في شرق الاردن ويرجع زمنها الى العصر الحجري الوسيط ومطلع العصر الحجري الحديث أي الفترة الممتدة ما بين (١٢ ــ ٨) ألف سنة ق . م .[٢٨] والصورة تمثل جملا عربيا صغيرا (تطابق شكل الجمل الحالي) رسم خلف صورة ثور وحشي يرجع زمنها للعصر الحجري الوسيط . كذلك كشفت بعثة اثارية أخرى وفي المنطقة ذاتها عن رسوم جمال عربية يرجح كونها نفذت قبل زمن الرسم الاول[٢٩] . وهكذا يتوضح لدينا انه مع ازدياد أعمال الاستكشاف الاثاري تزداد الادلة اللازمة لدراسة تاريخ هذا الحيوان وقدم استيطانه في الارض العربية .

كما نعرف دمية من الطين المشوي رسمت على شكل رأس جمل ، وصلتنا من الوركاء وزمنها في حدود الالف الرابعة ق . م .[٣٠] وعلى الرغم من صعوبة معرفة نوع الجمل بسبب افتقادنا لجسمه ، ولكن نرجح كونه من النوع العربي بسبب قرب منطقة الوركاء من بوادي الجزيرة العربية الشمالية الشرقية ، ولان المؤشرات اللغوية السومرية تعين الاقسام الجنوبية الغربية من بلاد وادي الرافدين (حيث تقع الوركاء) كمنطقة أطل من خلالها الجمل على حضارة وادي الرافدين وعرفه السومريون من خلال تلك الاقسام .

---

(٢٧) Robinson, op. cit. P. 50; Forbes, op. cit P. 189 ff.

(٢٨) Agnes Horsfield, "Journey to KILWA, Trans Jordan" in Geographical Journal, Vol. Cll no. 2 1943. P. 75.

(٢٩) Frobenius: Trans jordanien. P. 224, pl. 15, 2.

(٣٠) A. Noldeke and Ernst Heinrich: URUK-WARKA, No. 13 Berlin 1937 Taf. 46, F., P. 48 ff.

ومن فترة زمنية مقاربة لزمن جمل الوركاء ، وصلنا من الطبقات السفلى لاور والتي يرجع زمنها الى عصر العبيد (في حدود الالف الرابعة ق • •) دبوس نحاسي صنع رأسه على شكل جمل عربي بارك[٣١] •

وعلى الاطراف الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية ، ومع امتداد الخليج العربي ، وفي جزيرة صغيرة تعرف بأم النار (جزيرة صغيرة في أقصى جنوب الخليج العربي في الزاوية الجنوبية الشرقية لجزيرة ابو ضبي العاصمة ، وتبعد عن الساحل حوالي ٥ كم) عثرت البعثة الدانمركية في حفرياتها على مجموعة من المقابر الحجرية التي يشيع انتشارها في مناطق الخليج العربي ويصطلح على تسميتها بـ Tumuli ، بلغ عددها (٥٠ قبرا) •

وعثرت البعثة أيضا على بقايا أسس أبنية حجرية تمثل مستوطن الجزيرة القديم وعلى الرغم من أن معظم مخلفات العظام التي جمعتها البعثة تمثل عظام اسماك لكنها جمعت ايضا بضعة صناديق من عظام مواشي يأتي في مقدمتها عظام الابل تليها عظام الغزلان ، ولم تستطع البعثة من تشخيص عظام الابل هل انها لابل وحشية أم مدجنة ، ولكنها ترجح أن تكون بينها عظام لحيوانات مدجنة •

كما عثرت البعثة على صورة جمل عربي بجانب صورة مهاة منفذة باسلوب النحت البارز على احدى حجارات جانبي مدخل أحدى مقابر أم النار بينما نحتت صورة ثور على الحجارة المقابلة لباب المدخل • ان صورة الجمل هذه وعظامه في المستوطن تؤكد معرفة سكان أم النار القدماء بهذا الحيوان وأنهم أعتمدوه في وجبات طعامهم سواء كان مدجنا أم بريا •

ويرجح أعضاء البعثة الدانمركية أن تكون هذه الاقسام من الجزيرة

---

(٣١) G. Bibby: Looking for Dilmun, P. 321 (Proof Edition Book 1973).

العربية (منطقة عمان وأبو ضبي) من مناطق تدجين الابل الاولى[٣٢] وتؤرخ هذه الصورة والمواد الاثارية المكتشفة بحدود منتصف الالف الثالثة ق٠م٠[٣٣]

ويرجح أعضاء بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو أنهم يروز في الصورة البارزة من الطين المشوي التي عثروا عليها في طبقات اور الثالثة في تل اسمر (من مواقع منطقة ديالى) ، أنها تمثل رجلا راكبا على ظهر جمل ٠ وعموما فان الاقسام العلوية من الصورة تالفه لذلك يتعذر علينا أن نجزم بكونها تمثل جملا حيث ان الرأس والسنام وأقسام من نهاية ظهر الجمل غير موجودة بسبب التلف ٠ ولكن الشكل العام الظاهر في الصورة مع امتداد الساقين الامامتين والخلفيتين ترجحان كونها صورة جمل ٠ واذا كان هذا الترجيح واردا ، فأنها تكون اول صورة تؤكد تدجين الابل ويرجع زمنها لحدود سنة (٢١٠٠ ق ٠ م ٠)[٣٤]

واذا كانت الصورة السابقة مشكوك بها لعدم وضوحها ، فيبدو ان تدجين الابل يتأكد مع مطلع الالف الثانية ق٠م حيث وصلنا تمثال رجل يركب جملا من تل (تانّك) في فلسطين Ta'annek [٣٥] ٠

---

(٣٢) Bibby: op. cit. P. 320-21.

(٣٣) Ibid. P. 297, 165.

(٣٤) H. Frankfort, S. Iloyd, Th. Jacobsen: The Gimilsin Temple, OIP XLIII P. 231, P. 212. Fig. 126 F.

وقد أعتمد الاستاذ دوستال المتخصص في دراسة البدو والبداوة ، هذه الصورة كأشارة أولى لتدجين الجمل ، كما انه أعتبر الراكب يمتطي الجمل من خلف السنام ، في دراسة له عن مناطق امتطاء الابل وكونها تمثل مراحل تطوريه في حياة اصحابها .

W. Dostal: "The Development of Bedouni Life in Arabia seen from the Archaeological Material".

محاضرة القيت في الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ قسم التاريخ ـ كلية الاداب ـ جامعة الرياض ، ١٩٧٦ .

(٣٥) Dostal, op. cit. P. 3.

ومن فترة زمنية مقاربة ، تصلنا دمية طينية تمثل محملا (هودجا) يبدو من خلاله شخص جالس ، وعلى الرغم من أن صورة الهودج هذه خالية من صورة البعير ولكن بسبب اقتران الهودج بالجمل وحده ، فأنها على الاغلب كانت حالتها الاصلية مرفقة بصورة جمل ، والدمية هذه من موجودات متحف برلين(٣٦) .

ومن هذه الفترة الزمنية اي مطلع الالف الثانية ق . م . تشير علينا النصوص المسمارية بمعرفة العراقيين القدماء للابل المدجنة ، وهذا ما سنأتي عليه تفصيلا في مستقبل حديثنا عن الابل في الكتابات القديمة .

ومن حدود العهد الكاشي من حضارة العراق القديم (حوالي ١٥٠٠ ق . م .) تعرف دمية فخارية تمثل جملا عربيا(٣٧) .

أما العهد الاشوري ، فقد وصلتنا منه اوفى التسجيلات صورا وكتابة عن الابل واصحابها العرب . وبسبب النشاطات الاشورية الواسعة في المجالات الاقتصادية والعسكرية ، والتي شملت مساحات شاسعة من أراضي العالم القديم . لذلك عرف الاشوريون الجمال بنوعيها العربية والبكترية . والمعلومات المستقاة من المخلفات الاشورية لا تقطع في أمر تدجين الابل فحسب ، بل انها تشير الى علاقة وثيقة بين هذا الحيوان وبين اصحابه العرب مما يؤكد قدم هذه العلاقة التي تتعدى حدود العهد الاشوري .

فمن عهد الملك الاشوري تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤ ــ ٧٢٧ ق.م.) وصلتنا صورة بالنحت البارز لاربعة جمال عربية تقودهم أمرأة تلبس ثوبا طويلا يلتف حول جسمها وله حافات مشرشبه يصل في طوله الى منتصف

(٣٦) Horst Klengel: Zwischen Zelt und Palast. Leipzig 1971 P. 52.

(٣٧) OIP. Vol. LXXVIII, P. 93, pl. 141: 8.

الساق ، كما يغطي اللباس نفسه رأس المرأة من الخلف[٣٨] .

ومن عهد الملك نفسه جائتنا صورة أخرى تمثل فارسين أشوريين يتسلحان برماح طويلة ويهاجمان رجلا غير مسلح يمتطي ظهر جمل عربي يهرب من وجههما ليفلت من أسلحة الفارسين بعد ان نجحا من الفتك بزملائه الثلاثة .

والمنحوتة تصور الرجل الذي يمتطي البعير وهو ماسك بيده اليسرى حبل اللجام لقيادة الجمل ، وله شعر كث طويل يتدلى من الخلف على رقبته ، كما يمكن تمييز معالم ربطه للشعر تلتف حول الرأس فوق الجبين ، وهي ما نرجح ان تكون بدايات فكرة العقال التي تميز الزي العربي وحده بها قديما وحديثا .

ويركب الرجل ظهر بعيره امام السنام . ويلبس مأزر قصير مشدود عند وسطه يصل الى حدود الركبة ، بينما بقية جسمه عارية من الملابس .

والذي نراه في هذا النوع من الملابس أنها ثوبا عاديا يلبسه العرب ليغطوا أجسامهم من حدود الكتف الى اسفل الركبتين ، وانهم في حالات معينة، كالحرب أو العمل ، وحتى يقللوا من تقييد اللباس لحركتهم ، ينزعونه عن النصف العلوي من جسمهم ويستعينون بأكمام الثياب لربطه حول وسطهم ، وفعلا يلاحظ في الصورة وجود بروزين مكورين على جانبي وسط الرجل بحدود شدة الثوب على الجسم[٣٩] .

وتقترب أشكال العرب وجمالهم وملابسهم وشعر رؤوسهم ولحاهم من صورة معركة بين جند أشور بانيبال وبين العرب . وتضيف هذه الصورة الى

---

(٣٨) J. Pritchard, The Ancient Near East in Pictures, Relating to the Old Tetament Princeton. New Jersey 1954. pl. no. 187.

(٣٩) Pritchard. op. cit. pl. 375.

معلوماتنا عن العرب طريقة جلوسهم على الجمل في حالة الحرب وانواع الاسلحة التي أستخدموها ، حيث يركب كل رجلين على جمل واحد يظاهر أحدهما الثاني فالاول ووجهه مع اتجاه حركة الجمل يقود البعير ويسيره بعصا طويلة ، وربما يستخدمها للدفاع عن نفسه وضرب أعدائه • اما الرجل الثاني فوجهه الى ظهر البعير يواجه المهاجمين بقوسه ونشابه ، فهما بهذه الحالة أستخدما الجمل مقام عربة القتال الاشورية التي يقودها رجل بينما يفرغ الثاني للدفاع أو الهجوم(٤٠) •

ومن الصور المعبرة بعمق عن واقع الحياة العربية القديمة منحوتة وصلتنا من قوينجق (نينوى) ترجع لزمن الملك الاشوري اشور بانيبال (منتصف القرن السابع ق • م •) تتوضح منها صورة خيمتين ، تعد الوسطية لمكان جلوس ومائدة طعام شخص معين قد يكون رئيسا او قائدا ، وفي الخيمة المجاورة قصاب يدلي خروفا من قدمه وينزع عنه الجلد لتهيئته لتقطيع لحمه • وخارج الخيمتين نشاهد خروفين جالسين وجملين باركين وفي يسار أعلى الصورة رجلا يعد خبزا في تنور • وخلف هذه المشاهد جميعا صورة جدار ثابراجه المحصنة ، مما قد يوضح الاختلاط الشديد بين سكنه المدن وسكنه الخيام • (Pritchard. op. cit. pl. 170).

ومن فترة معاصرة للعهد الاشوري ، وصلنا نحت بارز على الحجر يمثل رجلا يجلس فوق مقعد يشبه صندوقا خشبيا مربع الشكل شد الى سنام البعير بحبال تتقاطع عند مرورها حول جسم البعير • ويمسك الرجل بيده اليمنى عصا لقيادة البعير ، بينما صورت يده اليسرى ممدودة وكأنها تمسك بحبل يربط رقبة البعير (مقام لجام الخيل) ولكنه غير واضح في الصورة ، وللرجل شعر طويل يتدلى من الخلف ليغطي رقبته وليذكرنا بشكل شعر الرأس في

---

(٤٠) Ibid. pl. 63.

الصور الاشورية ، وكذلك في عصبة رأسه • وقد عثر على هذه المنحوتة في تل حلف على خابور الفرات ويرجع زمنها الى حدود القرن التاسع ق•م•(٤١)

ويبدو ان موضع جلوس الراكب على ظهر الجمل نال قسطا كبيرا من الاهمية من قبل بعض علماء الاثروبولوجي المعنيين بدراسة البدو والبداوة ، وخصوصا منهم أصحاب الابل • فيميز هؤلاء الباحثون بين ثلاثة مواضع من ظهر الابل عند ركوبها ، على السنام وخلفه وأمامه ، ويربطون بين هذه المواضع والمقاعد المخصصة للجلوس وبين مراحل تطورية مر بها العرب من أصحاب الابل(٤٢) •

ومن بعلبك وصلتنا صورة جمل عربي بارك وعلى جانبي ظهره جرتان كبيرتان ، مرسومة على اناء فخاري يرجع لحدود القرن السادس ق•م•(٤٣)

وتعرض صورة أخرى من تدمر لجمل على ظهره محمل (هودج) ، يقوده رجل وتسير خلف الجمل بضعة نساء ، أبرز ما يلفت الانتباه على هيئتهن انهن محجبات • ويرجع زمن هذه الصورة الى القرن الميلادي الاول(٤٤) •

ويبدو أن النشاط التجاري العربي بلغ مدى واسعا في مطلع القرون الميلادية ، وتبدأ مدن القوافل التجارية العربية تلعب دورها الكبير الاهمية ، كما تسجل لنا ذلك الاحداث التاريخية لهذه الفترة • لذلك فمن الطبيعي ان

---

(٤١) B. M. Von oppenheim: Tell Halaf, Translated by G. Wheeler, London pl. 21A; pritchard. op. cit. pl. No. 188.

(٤٢) The Ency. of ISLAM, New edition, Vol. III Leiden 1971 P. 667; W. Dostal, op. cit, P. 3 ff.

(٤٣) Robinson, op. cit. P. 58.

(٤٤) H. Klengel, op. cit. P. 168.

تزداد أهمية ودور الابل في حياة مدن القوافل التجارية كتدمر والحضر وغيرها. واذا كانت أثار بعض هذه المدن لم تظهر أية تفاصيل أو رسوم للابل : فسببه نقص ومحدودية أعمال التنقيبات في بقايا هذه المدن ، ومثال ذلك الحضر ، فعلى الرغم من مرور أكثر من ثلاثين سنة على أعمال التنقيبات في الحضر ، فقد كشف عن بقايا معابد صغيرة منذ سنتين فقط ، وفي أحد هذه المعابد ، وهو معبد اللاة الذي يرجع بناؤه الى زمن الملك سنطرق (في حدود ١٧٠ م) نشاهد صورة الجمل ضمن صور الموسيقيين على افريز منحوت داخل جدران المعبد . وأكثر من ذلك خطورة وأهمية ، فان صور الابل تزين الواجهه الامامية للمعبد، فعلى أحد جانبي المدخل ، نفذ بالنحت البارز على الحجر الكلسي المستخدم في بناء المعبد ، صورة من قسمين ، العلوي منها يمثل ناقة يرضعها وليدها ، والسفلى يمثل جملا باركا . وعليه ينجلي كليا ما يكتنف دور الابل في حياة العرب من غموض ، بحيث نراه مصورا في أبرز مكان لمعبد ربة مشهورة في عقائد العرب الدينية(*) ومن فترة زمنية قريبة لجملي الحضر تعرف أيضا مسلة قبر سبأيه ، نحت على قسمها العلوي صورة جملين يمتطي أحدهما رجل ، ويلاحظ أن الرجل يمتطي بعيره في موقع من ظهر الجمل أمام السنام . وتؤرخ هذه المسلة بحدود القرن الثاني او الثالث الميلادي(٤٥) .

وقبل التوغل في أعماق الارض العربية تفتيشا عن اثار الابل ، لنتحول الى مصر حيث نجد ان اثار الجمل هناك تتعرض الى انقطاع طويل الامد يستغرق العهد الفرعوني بأكمله وحتى اواخر العصر اليوناني ومطلع العهد الروماني .

(*) نظرا لحداثة هذه المكتشفات فهي لم تنشر بعد ، وقد شاهدتها شخصيا بالاضافة الى اعتمادي توضيحات الاستاذ محمد علي مصطفى احد العاملين الخبيرين بآثار الحضر .

(٤٥) Pritchard, op. cit. pl. 636.

ان أقدم الدلائل لوجود الجمل في مصر تتمثل في أكتشاف الاثاريين لبقايا هيكله العظمى في الفيوم ، وتؤرخ هذه المكتشفات بالفترة ما بين (٢٤٠٠ — ٢٠٠٠ ق ٠ م ٠)[٤٦] .

ونعرف من أسوان صورا للجمال تؤرخ بالفترة ذاتها ، كما عثر في أبيدوس وغيرها على تماثيل وصور جمال تعود لعهد الاسرة الاونى[٤٧] .

وربما تشير بعض صور الجمال هذه الى أنواع مدجنة من الجمال ، ولكن الامر الواضح هو ان الجمال لم تستخدم على نطاق واسع في مصر في عصورها القديمة[٤٨] .

وعموما فان الشك لا يزال مرافقا للباحثين في أمر تدجين الابل في مصر منذ الفترات المبكرة[٤٩] . ومما يعزز من موقع الشك هو بقاء السؤال التالي بخصوص الموضوع قائما ومفاده : لماذا لم يستمر ظهور الابل على مصورات المقابر المصرية وفي غيرها من المخلفات المصرية الكثيرة التي يندر أنها أغفلت حيوانا من حيوانات مصر القديمة ؟ كما يثار السؤال عن سبب غياب كلمة جمل في اللغة والخط الهيروغليفيين[٥٠] .

والذي نراه أن بعض اثار الجمال المبكرة في مصر تشير الى معرفة عرضية بهذا الحيوان من خلال صحراء سيناء ، بخاصة وان سيناء كانت موطن مناجم النحاس التي أستثمرها المصريون ، ولما تعززت قوة ومكانة مصر بقيام الاسر

---

(٤٦) Joseph P. Free: "Abrahams' Camels" in JNES. 3 (1944) P. 189.

(٤٧) Ibid. P. 190.

(٤٨) Ibid. P. 192.

(٤٩) Robinson, op. cit. P. 58.

(٥٠) Von Reinhard, "Zum problem des Zeipunkts der Domestikation der altweltichen Cameliden" in ZDMG, Vol. 101, Neue folge B. 26 wiesbaden 1951. P. 38-40.
Free, op. cit. P. 192.

الحاكمة القوية كالاسرة الثالثة ، فرضت سيطرتها المباشرة على مناطق سيناء ، مما تسبب في أنسحاب سكانها الاصليين مع افتراض انهم أصحاب ابل ، الى داخلية الارض العربية في الاقسام الشمالية بين الحجاز وشمال نجد ، حيث عرفناهم في هذه المناطق بشكل واضح .

أما الجزيرة العربية ومناطقها المختلفة ، والتي يرجح ان تكون الموطن الاصلي للجمال العربية ، فهي بسبب من أحوالها المناخية والجغرافية لعصورها الاخيرة ، أضحت كنزا يخفي بداخله كثيرا من مخلفات العرب الاقدمين . ولكن نتيجه جهود علماء الاثار والمستكشفين المتواصلة ، تتكشف امامنا يوما بعد اخر مزيدا من المعلومات الثمينة عن تاريخ ارض العرب القديمة وعن واقع حياة سكانها .

ففي كتاب أثاري مصور يعكس جهودا قيمة ومضنية بذلها العاملون على اخراجه ، تتوضح معالم مختلفة لحياة الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، وعلى الرغم من كون الكتاب اعلامي ، حيث لم تقترن المصورات بشروحات تفصيلية علمية كاملة ، الا ان بعض الرسومات عثر عليها بمعية كتابات عربية جنوبية مما يسهل تحديد تاريخها التقريبي ، مع الاخذ بنظر الاعتبار من ان الرسوم المختلفة ليست بالضرورة دائما تؤرخ من زمن الكتابات المجاورة لها ، فقد تكون سبقتها او لاحقه لها ، لذلك فهي بحاجة الى دراسة علمية دقيقة مقترنة بدراسة المنطقة التي وجدت فيها هذه الرسوم ، كما حصل مع رسوم الحيوانات في كلوه حيث أستطاع الباحثون من تشخيص زمن الرسومات بدليل بعض الالات الحجرية في الموقع نفسه[٥١] .

وتتعرف من خلال رسوم الكتاب ، الى صور بعض الحيوانات التي

---

(٥١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية : اصدار ادارة الآثار والمتاحف وزارة المعارف . المملكة العربية السعودية ١٩٧٥ .

يستحيل وجودها اليوم في تلك المناطق من الجزيرة بسبب الاحوال الجغرافية والمناخية الحالية ، ومنها صور الثيران والخنزير والنعام والاسد[٥٢] ، وهذا ما يدعم الرأي القائل بواقع مناخي للجزيرة العربية في عصورها القديمة مغاير لما هو عليه اليوم • وبالاضافة الى هذه الصور ، تكثر صور ورسومات الابل ومن مناطق مختلفة من الجزيرة العربية •

فمن منطقة نجد والقصيم ، وعلى صخور جبل براقه تشاهد صور تجريدية حفرت على الصخر لجمل عربي ، يرجع تاريخه بالاستناد الى المخلفات الاثرية المرافقة له الى حدود الفترة الميلادية • وصورة أخرى من موقع جبل برمه (٦٠ كم شرقي الرياض) لجمل ومعها نقوش ثمودية ترجع الى القرن الرابع او الخامس ق • م •[٥٣] •

ومن المنطقة الشمالية للمملكة العربية السعودية ، والى مسافة ٤٠ كم شرق حائل ، يقوم جبل يعرف بالمليحية تبرز على صخوره صور الجمال بجانب الابقار والاسود والنعام[٥٤] •

وقريب منه جبل يعرف باسم ياطب تكثر صور الجمال على صخوره بالاضافة الى صور النخيل وأسد ومعها كتابة ثمودية تعود للقرن الثالث ق • م • ومن المهم أن نشير الى ان هذين الموقعين (المليحية وياطب) قريبان من طريق الحج العراقي المشهور باسم طريق زبيدة[٥٥] •

كذلك تتعرف على صور الجمال وحيوانات أخرى من مواقع صخرية قريبة من سكاكا ومن هذه الصور ما نحت على علامات قبور قديمة ترجع الى

---

(٥٢) نفس المصدر ، ص ٢٢ .
(٥٣) نفس المصدر ، ص ٢٦ ، ٣١ .
(٥٤) نفس المصدر ، ص ٦٥ ، ٧٤ .
(٥٥) انظر الخارطة على الصفحة ٦٦ من نفس المصدر ؛ كذلك الصور على الصفحة ٦٨ .

حدود القرن الثالث ق . م . وهي عبارة عن كتل صخرية كبيرة الحجم مستطيلة الشكل تنصب كل ثلاثة أو أربع منها بشكل قائم[٥٦] . تعرف في بعض مناطق أوربا باسم Megalith .

أما المنطقة الشمالية الغربية ، والتي تعرف بأرض مدين أو دادان ، فهي غزيرة بمخلفاتها الاثرية من قصور وأسوار ومعابد ، وكذلك مئات النقوش المعينية والدادانية والثمودية والنبطيه ، ومن مدن هذه المنطقة ذات الشهرة التاريخية العلا (دادان القديمة) والحجر (مدائن صالح) وتيماء .

وبالقرب من روافه التي تبعد مسافة (٧٤ كم) غربي تبوك ، والتي فيها بقايا معبد روماني نبطي يرجع عهده للقرن الثاني الميلادي ، عثر على رسوم ابل ونعام بسعية كتابات ثمودية على صخور جبل قريب[٥٧] .

وعلى صخور جبل غنيم الذي يبعد ٩ كم جنوب شرقي تيماء ، حفر أسم شخص بالكتابة الثمودية تجاورها صورة جمل[٥٨] .

وعلى مقربة من نجران في الاقسام الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية ، تقوم بقايا أثرية من أبرزها بناء حجري كبير يعرف بالاخدود ، وتحمل بعض حجاراته رسوما ونقوشا معينية وسبأيه وكوفية ، ومنها صورة جمل في حالة جري يجاور نقوش سبئية . وقد نفذت الصورة بشكل فني متقن يتميز عن الاسلوب التجريدي أو البدائي الذي ألفناه في الرسوم السابقة . ومن الجدير بالذكر أن الصورة الوحيدة للفرس هي التي نحتت على واجهة احدى حجارات جدار مبنى الاخدود ، والصورة بتنفيذها المتقن ومستواها الفني الرفيع ، تبدو معاصرة أو قريبة من زمن نحت صورة الجمل ، ولان بناء

---

(٥٦) نفس المصدر ، ص ٨٦ .

(٥٧) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(٥٨) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

الاخدود يرقى الى فترة قريبة من العهد الاسلامي أي لحدود القرن الخامس الميلادي ، لذلك يبدو جليا عدم غرابة وجود صورة الفرس • ولكن هـذه الصورة الوحيدة والفريده في علمنا لحد الان تشير بوضوح الى ندرة الخيـل في الجزيرة العربية من جانب ، وربما تشير الى بدايات انتشارها مـن جـانب اخـر(٥٩) •

ان صور الجمال هذه قد تكون مثار خلاف حول تاريخها ، وهل هي تمثل جمالا مدجنة أم وحشية ، واذا كانت وحشية فذلك يشير الى فترات بعيـدة من تاريخ هذا الحيوان على الارض العربية ، وللافتراض الاخير ارجحيته التي يسندها صور حيوانات ظهرت مع صور الجمـال ، والتي كانت تعيش ارض الجزيرة العربية خلال فترات تاريخية قديمة شهدت الجزيرة العربيـة ظروفا جغرافية ملائمة لمعيشة هذه الحيوانات مثل النعام والثيران والابقار والاسوده

ولربما تكون صور الجمال نفذت من فترات تاريخيه لاحقة لزمن صور الحيوانات الاخرى ، وبخاصة وأن المناطق التي حفظت لنا هذه الصور تمثـل معالم بارزة وشاخصة ومستمرة وتقع على مفترق طرق او امتداداتها او بالقرب من مصادر الماء كالينابيع أو الواحات أو الوديان ، وهذا الواقع يفترض ان شهدت هذه المواقع الانسان العربي منذ أقدم عصوره والى وقت قريب ، ويتأكد ذلك من وجود كتابات من عصور مختلفة في مكان واحد مثل الكتابة السبأية والثمودية والكوفية ، مما يؤكد تسجيلها من فترات تاريخية متباينة وربمـا ينسحب هذا الامر على موضوع الرسوم •

ومهما يكن من أمر تاريخ هذه الرسوم ، حيث تتوضح أهميه الدراسـة العلمية الدقيقة لها ، فالامر الاهم والذي تبرزه وتؤكده هذه الرسوم ، وبخاصة انتشارها في جميع أقسام الجزيرة العربية ، كون الجمل هو الحيوان الرئيس

---

(٥٩) نفس المصدر ، ص ١٧٠ ، ١٧٦ •

والاكثر شيوعا وانتشارا بين العرب ، وبالتالي طبعت صورته مخيلة الفنان العربي القديم .

وبعد هذا المسح الشامل للجزيرة العربية واطرافها ومراكز الحضارات القديمة المجاورة لها ، والذي برزنا من خلاله معظم المخلفات الاثرية للابل ومن مختلف الفترات التاريخية . ربما يثار السؤال التالي وهو ، لماذا نربط بين الابل وتدجينها وبين العرب من سكان الجزيرة القدماء دون غيرهم من شعوب الشرق الادنى القديم ، الذين كان موطنهم الاصلي الجزيرة العربية قبل ان تعرفهم اطرافها في بلاد وادي الرافدين أو الشام ، ومنهم الاكديون والاموريون والكنعانيون وغيرهم ؟ ولاجل التركيز نوضح اجابتنا في النقاط التالية :

١ ـ بينت لنا المخلفات الاثرية معرفة مراكز الحضارات القديمة في العراق وسوريا ومصر بالجمل في طوره الوحشي وربما أصطيد الجمل مع غيره من الحيوانات ضمن فترات مرحلة الصيد التي عاشتها هذه المراكز الحضارية .

٢ ـ أزدهرت مراكز الحضارات القديمة في مناطق وديان انهار كبيرة كدجلة والفرات والنيل وأعتمدت في مواصلاتها هذه الانهر بشكل رئيسي ، كما غطى الحمار بعض احتياجاتهم المحدود في النقل البري ، وعليه لم تبرز الحاجة بعد لتوظيف حيوان بخصائص وقدرات الجمل .

وربما امكننا أن نضيف ان الاراضي الزراعية الغرينية والاراضي الموحلة بسبب كفيضانات الانهار ونسبة سقوط الامطار العالية لا تتلائم مع خصائص خف الجمل وتعرقل سيره .

٣ ـ ان الاحوال المناخية والجغرافية للجزيرة العربية لم تكن بعد قد شهدت وضوح حالة الجفاف واطراد مساحة الصحراء في الفترات الزمنية التي

هاجر فيها الاكديون والاموريون جزيرة العرب ، لذلك عرفنا انتقال بعضهم مع الحمار وبخاصة الاموريون[٦٠] .

٤ ــ ان الجماعات السكانية التي واصلت سكنى جزيرة العرب بعد أنسلاخ بعضها في هجرات الى الاطراف ، عايشت التبدل المناخي والجغرافي بوضوحه التام ، لذلك سعت بكل قدراتها لايجاد سبيل يعينها في التغلب على الصعوبات الناجمة عن طبيعة الاحوال البيئية ، فكان الجمل ، ليفي بكافة متطلبات الحياة الصعبة في الاحوال البيئية الجديدة وليكسر طوق العزلة التي فرضته الطبيعة ، ويتيح أمام أصحابه فرصة المشاركة والمساهمة في أحداث تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم .

٥ ــ لم تعرف اللغة الاكدية من العهد الاكدي باعتبارها تمثل لغة أقدم النازحين من الجزيرة الى أرض وادي الرافدين ، أسم الجمل ، كذلك شأن لغات بقية شعوب الشرق الادنى القديم في سوريا ومصر[٦١] .

٦ ــ آن أقدم تسمية غير عربية للجمل ، هو الاسم الذي أطلقه السومريون على هذا الحيوان ، فحيوان النقل عند السومريين هو الحمار بالاضافة الى تركيزهم في عملية النقل على المواصلات النهرية . ولكن بحدود الالف الثانية ق . م . يفد عليهم حيوانان جديدان ، أحدهما دخل العراق

---

(٦٠) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ترجمة جورج حداد دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ الصورة بين الصفحتين ٦٤ ــ ٦٥ انظر ص ٨٢ .

كذلك لا نعرف أية اشارة للجمل في نصوص ماري (على الفرات بالقرب من البو كمال) المجاورة لبادية الشام والتي تعد من مراكز الاموريين الرئيسية وكان أوسع ازدهار لها في حدود القرن التاسع عشر ق . م . أنظر :

(W. F. Albright, from the Stoneage to Christianity, New York 1957. P. 165).

(٦١) CAD. I-J, P. 2.

من أقسامه الشمالية الشرقية وهو الحصان فأطلق عليه السومريون تسمية وصفية « حمار الجبل » بينما عرفوا الثاني ، الجمل ، من صوب الاقسام الجنوبية للعراق المتاخمة لموقع الخليج العربي ومناطق الاهوار والمستنقعات ، فأسموه « حمار البحر » ، وسنعكف على هذه التسميات في موضوع أسماء الابل .

٧ ـ عرف هذا الحيوان باسمائه العربية (جمل ، ابل ، ناقة) مع ازدياد وتوسع احتكاك العراقيين بسكان الجزيرة العربية ، أو بعد كسر الطوق الطبيعي من قبل العرب بتدجينهم الجمل الذي سهل عليهم انوصول الى مراكز الحضارة العراقية القديمة . عندها تزداد الصلات بين الطرفين تشابكا ، وتأخذ أسماء ورسوم الجمل بالازدياد في الاستعمالات العراقية المختلفة .

لذلك جميعا ربطنا بين الابل وبين العرب دون سواهم من شعوب الشرق الادنى القديم . ان من شدة تأكيد هذا الارتباط أنه يندر ان تصادف نصا مسماريا من نصوص العهد الاشوري يتكلم عن العرب دون أن يشير الى حيوانهم الرئيسي الجمل .

أسماء الابل :

ان أولى التسميات غير العربية الاسم الذي أطلقه السومريون على هذا الحيوان ، ودونوه مقطعيا في كتابتهم وهو anše-a. ab. ba ومعناه « حمار (الارض) البحر (يه) » وجائتنا هذه التسمية الوصفية من معجم لغوي قديم وضعه العراقيون القدامى لترجمة وتعريف المفردات والافعال السومرية بما يقابلها في الاكدية ، أصطلح على تسميته نسبة الى أول مفردة وردت فيه وهي ḪAR. RA—ḫubullum ، وأعتمدت كتسمية لهذا المعجم بين المختصين . ويرجع زمن تأليفه الى مطلع الالف الثانية بحدود الفترة

الحضارية المعروفة بأسم فترة العهد البابلي القديم من أدوار حضارة العراق القديم • ويقدم لنا هذا المعجم تسمية أعتمدتها اللغة الاكدية مرادفا للاسم السومري للجمل وردت بصيغة i-bi-lu • كما أطلق السومريون تسمية ثانية على الجمل من النوع البكتري وردت بالشكل التالي :

am - si. Kur - ra an [si]. ḫa - ra - an

وترجمته « الثور الوحشي الجبلي من الخارج (الاجنبي) » •

يقابله في اللغة الاكدية لفظة i-bi-lu أيضا •

وللتمييز بين النوعين من الجمال ، العربية منها والبكترية ، وصف السومريون النوع البكتري بكونه ذو حدبتين ، كما أعتبروه أجنبيا أي قادما من الخارج • وربما تكون في هذه الاشارة الوصفية للجمل البكتري تأكيدا بقدم معرفة العراقيين بالنوع العربي من الجمال وتآلفهم مع شكله ، لذلك اعتبروا النوع البكتري غريبا أو أجنبيا[٦٢] •

يتوضح لنا مما سبق ، أن لفظة « ابل » كأسم على على حيوان معين ، وما يقابلها بالسومرية كانتا معروفتان على فترة العهد البابلي القديم • وتتعرف أيضا على نص سومري عثر عليه في مدينة نفر يرجع زمنه الى نفس الفترة التاريخية ، أن الجمل البكتري عرف مدجنا[٦٣] • مما يرجح كون النوع العربي عرف مدجنا من نفس الفترة ان لم يكن أسبق منها • والمرجح أن تكون لفظة ابل أخذت عن العربية ، لانها لفظة خاصة بثقافة هؤلاء القوم اولا ، ولانها لم ترد في بقية اللغات السامية[٦٤] •

---

(٦٢) The Assyrian Dictionary, of the Oriental Institute of the University of Chicago Editorial Board: I. J. Gelb, B. Landsberger, A. Leo Oppenheim. (CAD) Chigaco-USA 1960 I. J. P. 2.

(٦٣) CAD, ibid. P. 2.

(٦٤) Ibid.

وتكشف لنا الكتابات المسمارية ان لفظة ابل ظهر أستخدامها كمقابل للاسم السومري السابق الذكر للحيوان قبل لفظة « جمل » التي توضع أيضا في بعض المعاجم اللغوية القديمة كمرادف للاسم السومري •

ولكن على العهد الاشوري ، أستخدمت التسميتان ابل وجمل على النوع العربي بينما تظهر تسمية جديدة هي udru للنوع البكتري من الجمال • ولكن يشيع استخدام لفظة جمل في النصوص الاشورية بالصور التالية ومرفقة بالعلامة الدالة على حيوان وأحيانا بدونها :

GAM. Mal, Anše. Gam - mal, Anše. A. AB. BA

ونرى ضرورة الاشارة ثانية الى ارتباط لفظة جمل مع العرب في النصوص التي وصلت ايدينا من العهد الاشوري •

أما الجمال من النوع البكتري ، فقد أطلق عليها الاشوريون تسمية « الجمال التي تكون ظهورها من حدبتين » كما أستخدموا اللفظة الجديدة لها udru (٦٥) •

وفي الوقت الذي يغيب فيه تمييز جنس الحيوان في الاشارات الاولى للابل ، أطلق الاشوريون تسمية لانثى الجمل بصيغة anaqate (٦٦) وكذلك :

mi anše a-na-qa-a-te/ti (٦٧)

وهكذا تثبت لنا المصادر المسمارية ، أن لفظتي ابل وجمل عرفتا منذ فترة العهد البابلي القديم مع أسبقية زمنية محدودة للفظة ابل • كما عرفت لفظة ناقة على العهد الاشوري •

---

(٦٥) CAD, G. P. 35.

(٦٦) CAD, A. P. 112.

(٦٧) W. Von Soden: Akkadisches Handwörterbuch, Band I, A-L, P. 50 wiesbaden 1965 (AHW).

مع ترجيحه أن تكون اللفظة مستعارة من العربية (ناقه) .

أما اللغة العبرية فقد حفظت أسم الحيوان بصيغة « جمل »
حيث يلاحظ شبها قويا بين حرف الجيم وبين شكل شبحي او تجريدي للجمل[٦٨] .

أما في السريانية وريثة الارامية فتعرف منها تسميتان :
هبلتا ، ابلتا = قطيع من الابل
كملا = جمل . وللناقة كملتا[٦٩] .

وحفظت لنا السبأية هذه التسمية
ا ب ل = ابل

كما عرفت لفظة بعير للدلالة على الجمال أيضا[٧٠] . علما أن لفظة بعير في العربية كما في السبأية تعني الانعام بشكل عام[٧١] . والبعير في القرآن الحمار ، وفي زبور داود : أن البعير كل ما يحمل . ويقال بالعبرانية لكل ما يحمل بعير[٧٢] .

أما بعض اللغات الهندو أوربية الاصل ، فللحيوان فيها أسم مغاير تماما عن لفظه في الاسماء العربية ، وهذا يبعد أحتمال كون لفظتي « ابل وجمل » أجنبيتان ففي الايرانية الحديثة « شتر » وجمعها « شترها » أو « شتران » وهي لفظة متطورة عن الفهلوية ، وكذلك في لغة الآفستا « أو شترا » ، ومن

---

(٦٨) The Ency. of Islam, Vol. III, ibid, P. 665.

(٦٩) Louis Costazs. J. قاموس سرياني عربي ص ٧٢ ، ٤٩ بيروت ١٩٦٣ .

(٧٠) نصر عبدالله ناصر : « هيكل اللغة اليمنية القديمة » مجلة الثقافة الجديدة اليمانية عدد : ٨/٧ ، آب ١٩٧٦ ، عدن .

(٧١) أغناطيوس جويدي : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . القاهرة ١٩٣٠ ص ٣٠ .

(٧٢) ابن منظور : لسان العرب مجلد ٤ ص ٧١ . دار صادر بيروت ١٩٥٦ .

أسم الجمل في الفهلويه يتركب اسم زرادشت نبي الديانة الايرانية القديمة ، حيث يتألف أسمه من مقطعين :

زرا ــ ومعناه أصفر ، الذهب ، الذهبي ، المسن

أوشترا ــ الجمل

أما في اللغة الكردية فهو « حوشتر » وجمعه « حوشتره كان » أو « حوشتران » ولا تعرف اللغتان تسمية خاصة لانثى الجمل(٧٣) .

ويبدو محتملا أن التسمية التي أستخدمها الاشوريون لتعيين الجمل البكتري وهي udru ، أخذوها عن سكان ايران القدماء المجاورين لهم ، بخاصة وان نشاطات الاشوريين السياسية والاقتصادية شملت مساحات كبيرة من بلاد ايران الشمالية . ولربما أيضا وصل الجمل البكتري الى العراق من هذه الاقسام عبر سلاسل جبال زاكروس وبخاصة وأن هذا النوع من الجمال له مقدره عالية في السير فوق الاراضي الصخرية والباردة وتسلق الجبال .

أما الاسم الذي أطلقه اليونان عن الجمل فهو Kamelos ، كذلك عرفته اللاتينية باسم Camelus ، وواضح جدا الاصل العربي لهاتين التسميتين وتسربهما الى اللغات الاوربية الحديثة بصيغة Camel .

توضح لنا صيغ التسميات المختلفة التي عرضنا لها سابقا الملاحظات التالية :ــ

١ ــ كان التمييز في الاسماء بين النوعين الرئيسيين للابل ملازما لمعرفتنا

---

(٧٣) ان أسماء الحيوان في الايرانية والكردية تفضل زميلي الاستاذين الدكتور امين سعيد من قسم اللغات الشرقية بكلية الاداب ، والدكتور كمال مظهر من قسم التاريخ في نفس الكلية ، بتزويدي اياها ، أغتنم هذه الفرصة لتسجيل شكري الجزيل لهما .

التاريخية بهذا الحيوان • ويبقى التمييز مستمرا في لغات الشعوب القديمة ويستمر حتى الوقت الحاضر •

٢ ـ تشير التسميات السومرية للحيوان الى المناطق التي عرفوه من خلالها وفي ذلك تمييز بيّن لنوعين من الابل مع تحديد أوضح لمناطق تواجد كل منهما بقدم المصادر التاريخية المتوفرة •

فالنوع البكتري يرتبط أسمه الوصفي بالمنطقة الجبلية الشمالية الشرقية لارض الرافدين ، بينما يرتبط الجمل العربي بالاقسام الجنوبية، وهي مناطق البطائح والاهوار والخليج العربي ، وهي المنطقة الملاصقة لجزيرة العرب •

٣ ـ أطلق السومريون في تسميتهم للنوع البكتري لقب الاجنبي أو الخارجي كما تبينا ذلك من الاسم السومري ، بينما يختفي مثل هذا اللقب عن النوع العربي ، ولهذا التمييز تفسيران :

أ ـ ان النوع العربي من الجمال أقدم توغلا في أرض الرافدين من النوع البكتري ، وهذا يتفق مع طبيعة الاقسام الجنوبية لبلاد وادي الرافدين التي تعد أرضا مكملة طبيعيا لارض الجزيرة العربية لذلك لم يعتبره السومريون غريبا عليهم •

ب ـ أن يكون اصحاب الابل وهم العرب أو غيرهم من سكان الجزيرة القدماء من اوائل سكنة بلاد وادي الرافدين جنبا الى جنب مع السومريين ، ولكن بسبب غلبة اللغة والكتابة السومرية فقد شاع الاسم السومري • ولكن بعد تركز أصحاب الابل في الاستيطان وممارستهم لدورهم السياسي والاقتصادي في مجرى الاحداث الحضارية لبلاد وادي الرافدين ، أخذت مفردات لغتهم وتسمياتهم تشيع في الاستخدام على نطاق لغة الحضارة العراقية •

ومما يجدر التنويه به في هذا الخصوص أن واحدة من أولى الممالك التي ظهرت من أقدم الادوار السياسية لحضارة بلاد وادي الرافدين وهو عصر فجر السلالات ، وكان ظهورها في حدود (٢٦٠٠ ق • م •) السلالة التي حكمت في مدينة كيش (تعرف بقاياها بتل الاحيمر وتقع مسافة ١٥ كم شرق مدينة بابل القديمة) حيث كان بعض أمرائها يحملون أسماء سامية بل عربية على وجه الخصوص مثل كلبم (كلب) وأرويئم (عروه) أو (أروه)(٧٤) •

٤ ــ عرفت حضارة العراق القديم لفظة « ابل » منذ مطلع الالف الثانية ق • م • وبقيت مستمرة حتى وقتنا الحاضر في اللغة العربية • ومما يجدر التنويه به أن التوراة عرفت لفظة « جمل » ولم تستخدم لفظة ابل عند اشارتها الى هذا الحيوان ، بينما أستخدم القرآن الكريم لفظة « ابل » بدلا من جمل عند اشارته لهذا الحيوان ، فربما يكون في ذلك خصوصية عربية أوضح للفظة « ابل » • كذلك عرفت لغة الحضارة العراقية القديمة لفظة « جمل » بعد لفظة « ابل » ثم عرفت لفظة «ناقه» •

ان لفظة « ابل » هي الاقدم في الظهور في الكتابات العراقية القديمة ، ولكن لفظة « جمل » هي الاوسع انتشارا في النصوص وبخاصة الاشورية منها ، وربما يكون سبب شيوع لفظة « جمل » في النصوص الاشورية مفاده كثرة صلات الاشوريين بالعرب الشماليين المتأثرين باللغتين الارامية والعبرية والتي كانت لفظة « جمل » شائعة فيما بينهم أكثر من لفظة « ابل » • ومما يرجح هذا الافتراض أن اليونان والرومان الذين كانت مراكزهم في سوريا ومصر وبعض أقسام أرض الجزيرة الفراتية ، وهم بذلك قريبون من الاقسام

(٧٤) J. Pritchard. Ancient Near Eastern Texts, New Jersy 1969 P. 265.

الشمالية للجزيرة العربية ، حفظوا لنا في مدوناتهم لفظة « جمل » ونقلوها الى اللغات الاوربية الحديثة .

بينما بقيت لفظة « ابل » نادرة الاستعمال الى زمن التدوين العربي الذي يعد القرآن الكريم من نماذجه الاولى والواسعة .

فهل يشير ذلك الى أن لفظتي « ابل » و « جمل » من مصدرين مختلفين في الجزيرة العربية ؟ كأن تكون الاولى من وسط وجنوب الجزيرة ، بينما الثانية من شمالها ، ولهذا الرأي أرجحيته لان لفظة ابل شاعت في العربية والسبأيه ، بينما شاعت لفظة جمل في العبرية والارامية .

وننتقل الان صوب المصادر اللغوية العربية لنتعرف من خلالها على أسماء هذا الحيوان ومعانيها ، فلربما تلقي مزيدا من الاضواء على تاريخ هذا الحيوان وعلاقته بالعرب .

فالإبِلُ والابْلُ : معروف لا واحد له من لفظه ، وهي مؤنثة لان أسماء الجموع لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم . وأقل ما يقع عليه اسم الابل الضرمة وهي التي جاوزت الذود الى الثلاثين ثم الهجمة وأولها الاربعون الى ما زادت ، ثم هنيده ، مائة من الابل . ويجمع الابل آبال[٧٥] .

أما الجَمَل : الذكر من الابل : وقد أوقعوا الجَمَل على الناقه فقالوا شربت لبن جملي وهذا نادر . والجمع أجمال وجمال وجمالات وجماله وجمائل[٧٦] .

أما الناقه : الانثى من الابل والجمع أنوُق" وانْؤُق[٧٧] .

---

(٧٥) لسان العرب . مجلد ١١ ، حرف اللام ص ٣ .

(٧٦) نفس المصدر ، ص ١٢٣ .

(٧٧) نفس المصدر ، مجلد ١٠ حرف القاف ص ٣٦٢ .

يلاحظ مما سبق أن لفظة ابل هي أساس التسمية العربية للحيوان ، وكأن لفظتي جمل وناقه أريد بهما وصفا لجنس الحيوان ، بقول اللغويين العرب للجمل ، الذكر من الابل وللناقة الانثى من الابل .

كذلك فان معظم المؤلفات التاريخية واللغوية العربية التي تطرقت لهذا الحيوان جعلت من لفظة « ابل » عنوانا لموضوعاتها مثال ذلك « كتاب الابل » في المخصص لابن سيده ، وباب « الابل » في كتاب الافصاح في فقه اللغة(٧٨) وغيرها من المؤلفات .

لذلك ، وبما ان الابل وأصحابها يتنقلون ويتحركون على شكل مجموعات كانت التسمية التي تشير الى مجموعة من هذا الحيوان هي التسمية الاولى التي عرفها العراقيون القدامى مع أطلالة أصحاب الابل عليهم . وعندما زاد أحتكاكهم بالعرب عرفوا بقية التسميات التي درج عليها العرب لاسماء حيوانهم الرئيسي ، فعرفوا لفظة جمل وناقه ، وكان ذلك بشكل واسع وواضح على العهد الاشوري الذي شهد أوسع الصلات مع عرب الجزيرة العربية .

وعلى الرغم من ذلك ، يبقى موضوع منشأ تسمية الابل ومعناها من الموضوعات التي تنتظر المزيد من الدراسات اللغوية من خلال التراث اللغوي العربي المحفوظ وكانت للشيخ عبدالله العلايلي محاولة الريادة في هذا الاتجاه ، وربما كان اخفاقه (على رأينا) يرجع لتعذر المصادر المسمارية عليه .

يرى العلايلي أن أصل جذر كلمة « ابل » ميثولوجي مؤلف من (أب) والتي يرى أنها مثل (أبو) السومرية التي تعني المرعى والزرع والخصب . ومن لفظة (ايل) التي تعني آله ، فيكون المعنى آله الرعاة(٧٩) .

---

(٧٨) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي : الافصاح في فقه اللغة ، ج٢ طبعة ثانية ، دار الفكر العربي .

(٧٩) الشيخ عبدالله العلايلي : المعجم . القسم الاول . المجلد الاول ، ص ٣٨ دار المعجم بيروت ، ١٩٥٤ .

ولكن اللغة السومرية تقدم لنا مقطع (ab) بمعنى الاب والبحر وشهر آب ، وليس بينها وبين المرعى والزرع أية علاقة[٨٠] • ولم يعثر في السومريات على مقطع له علاقة بالزرع أو الخضره سوى أسم آله مغمور وردنا أسمه بصيغة "Abu" عثر على تمثال له ولزوجته في تل أسمر من مواقع منطقة ديالى ، ويرجع زمنه الى حدود منتصف الالف الثالثة ق • م • وهو آله للخضرة والزرع[٨١] • ولان « آبو » أسم آله ، فلا يستقيم معناها مع لفظة « ايل » التي تعني اله ايضا ، فالاسلوب المتبع الذي جرى عليه السومريون والبابليون الذين دونوا بالخط المسماري هو أن يسبقوا أسم الآله بعلامة داله على الالوهيه وهي علامة محوره عن صورة النجمة •

ان الذي نعتقده في معنى لفظة « ابل » أن بينها وبين جذر فعل أكدي صلة قائمة • فالفعل الاكدي wabalu و abalu ، أبالو ، وبالو ، معناه ينقل ويجلب ويحمل • وأسم الفاعل منه wabilu و abilu ، ومعناه : الحامل والناقل • ونظرا لارتباط الابل منذ فترة تدجينها الاولى وعبر تاريخها الطويل وحتى وقتنا الحاضر بعملية النقل والحمل ، فالارجح ان تكون احدى المفردتين أساسا للاخرى •

كما نرى في أصل لفظة « جمل » ومعناها ، وجود صلة قوية بوظيفة هذا الحيوان الرئيسية وهي الحمل والنقل كما أشرنا ، فلربما يكون أسم « جمل » تحوير وتبديل في صوت الحرف الاول من الفعل العربي « حمل » علما أن أمر تحول نطق حرف الجيم الى حاء وبالعكس ، يعد أمرا متواترا في العربية مثال ذلك حس وجس بمعنى تعرف اليه •

---

(٨٠) P. Anton Deimel: Sumerisches Lexikon, Vol II P. 128 ROMA 1930 R. LABAT: Manuel D'Épigraphie Akkadienne P. 95 sign no. 128 Paris 1952.

(٨١) A. Parrot: SUMER. P. 341, Thames & Hudson. France 1960.

وأخيرا ، ربما تكون هناك صلة بين لفظتي « جبل » و « جمل » • فقد اعتاد العرب ان يطلقوا لفظة جبل على بعض الكتل الصخرية التي لا يزيد ارتفاعها عن بضعة عشرات من الاقدام ، فليس مستبعدا أن يشبهوا حيوانهم بالجبل ويشتقوا من هذه التسمية أسما لحيوانهم ، علما أنه هو أعلى حيوانات الجزيرة العربية ارتفاعا ، كما يوحي شكل سنامه بقمم الجبال ، هذا مع أن أحد مشتقات لفظة « جبل » وهي الجُبْله تعني السَّنام[٨٢] •

ومهما يكن من أمر المصدر الاصلي لاسماء هذا الحيوان ، فاننا نرجح عربية الاسم بدليل الصلات الوثيقة بين هذا الحيوان وبين أصحابه الاصليين، العرب ، أولا ، ولان جملة الدلائل اللغوية التي سقناها سابقا ترجح عربية الاسم ثانيا ، وثالثا ، لان كثيرا من أسرار العربية القديمة أختفت بين اللغات السامية التي وجدت طريقها للتدوين • وعندما تنجح الدراسات اللغوية في فرز الخصائص العربية من بين ركام التراث اللغوي السامي القديم ، سيمكننا عند ذلك التعرف بوضوح على كثير من خصائص العرب الحياتية القديمة •

العرب والابل :

تشير المدونات التاريخية الى صلة فريدة من نوعها بين العرب وبين الابل• فالكتابات الاشورية يندر أن تشير الى أحدهما دون الاخر • وان أقدم اشارة تاريخية الى العرب في المدونات الاشورية وردتنا من عهد الملك شيلمنصر الثالث عند تسجيله لوقائع معركة القرقار ، وهي المعركة التي دارت رحاها بين الاشوريين وبين ملك دمشق وملوك مجموعة من مدن الشام تحالفت معه ضد الاشوريين ، وضم هذا التحالف العسكري مجموعة أو قبيلة عربية بزعامة جندبو العربي ، وحارب العرب في هذه المعركة من فوق ظهور جمالهم • وتؤرخ هذه المعركة بعام (٨٥٣ ق • م •) كما يرد ذكر الجمال من بين الاتاوات التي

---

(٨٢) لسان العرب : اللام ص ٩٨ •

أستلمها الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤ ــ ٧٢٧ ق٠م٠) ، من بعض الملكات أو الاميرات العربيات ، ومنهن زابيبي وسمسي .

ويواصل الملك سرجون الاشوري (٧٢١ ــ ٧٥٠ ق٠م٠) باستلام الاتاوة السنوية من الملكة سمسي وكان من بين المواد خيول وجمال .

ويغنم سنحاريب (٧٠٤ ــ ٦٨١ ق٠م٠) الكثير من الجمال في حروبه ضد العرب ويتكرر ذكر العرب والابل في نصوص أسرحدون (٦٨٠ ــ ٦٦٩ ق٠م٠) فالابل من بين المواد التي أوقعها أسرحدون أتاوة على بعض الزعماء والملوك العرب .

وأخيرا يرتبط ذكر الجمل بالغنائم التي أحرزها أشور بانيبال (٦٦٨ ــ ٦٣٣ ق٠م٠) من العرب[٨٣] .

ومثلما فعل أسرحدون في حمل المياه فوق ظهور الجمال التي جلبها اليه ملوك العرب عند عبوره سيناء ليصل الى مصر ، أتفق قمبيز الملك الفارسي الاخميني (أواخر القرن السادس ق٠م٠) مع العرب أيضا لتذليل عبوره سيناء الى مصر ، فحمّل الجمال بالماء لذات الغرض[٨٤] ، كما شاركت فرقة من الجماله العرب في جيش أحشويرش الاول (القرن الخامس ق٠م٠) وكان العرب يركبون الجمال فيها « التي لم تكن دون الخيل في سرعة جريها »[٨٥] .

ويسمي بليني الجمل ذو السنام الواحد بالعربي وذو السنامين بالبكتري[٨٦] ، ويشير في كتابه المشهور « التاريخ الطبيعي » الى أن اللبان

---

(٨٣) رضا جواد الهاشمي : العرب في ضوء المصادر المسمارية . مجلة كلية الاداب ــ جامعة بغداد العدد/٢٢ ، السنة ١٩٧٨ ص ٦٣٩ ــ ٦٨٣ .

(٨٤) Herodotus, III, 7-9.

(٨٥) Herodotus, VII, 86.

(٨٦) Pliny: Natural History, London 1969, VIII, 67.

ان أقدم الدلائل لوجود الجمل في مصر تتمثل في أكتشاف الاثاريين لبقايا هيكله العظمى في الفيوم ، وتؤرخ هذه المكتشفات بالفترة ما بين (٢٤٠٠ — ٢٠٠٠ ق ٠ م ٠)[٤٦] .

ونعرف من أسوان صورا للجمال تؤرخ بالفترة ذاتها ، كما عثر في أبيدوس وغيرها على تماثيل وصور جمال تعود لعهد الاسرة الاونى[٤٧] .

وربما تشير بعض صور الجمال هذه الى أنواع مدجنة من الجمال ، ولكن الامر الواضح هو ان الجمال لم تستخدم على نطاق واسع في مصر في عصورها القديمة[٤٨] .

وعموما فان الشك لا يزال مرافقا للباحثين في أمر تدجين الابل في مصر منذ الفترات المبكرة[٤٩] . ومما يعزز من موقع الشك هو بقاء السؤال التالي بخصوص الموضوع قائما ومفاده : لماذا لم يستمر ظهور الابل على مصورات المقابر المصرية وفي غيرها من المخلفات المصرية الكثيرة التي يندر أنها أغفلت حيوانا من حيوانات مصر القديمة ؟ كما يثار السؤال عن سبب غياب كلمة جمل في اللغة والخط الهيروغليفيين[٥٠] .

والذي نراه أن بعض اثار الجمال المبكرة في مصر تشير الى معرفة عرضية بهذا الحيوان من خلال صحراء سيناء ، بخاصة وان سيناء كانت موطن مناجم النحاس التي أستثمرها المصريون ، ولما تعززت قوة ومكانة مصر بقيام الاسر

---

(٤٦) Joseph P. Free: "Abrahams' Camels" in JNES. 3 (1944) P. 189.

(٤٧) Ibid. P. 190.

(٤٨) Ibid. P. 192.

(٤٩) Robinson, op. cit. P. 58.

(٥٠) Von Reinhard, "Zum problem des Zeipunkts der Domestikation der altweltichen Cameliden" in ZDMG, Vol. 101, Neue folge B. 26 wiesbaden 1951. P. 38-40.
Free, op. cit. P. 192.

الحاكمة القوية كالاسرة الثالثة ، فرضت سيطرتها المباشرة على مناطق سيناء ، مما تسبب في أنسحاب سكانها الاصليين مع افتراض انهم أصحاب ابل ، الى داخلية الارض العربية في الاقسام الشمالية بين الحجاز وشمال نجد ، حيث عرفناهم في هذه المناطق بشكل واضح .

أما الجزيرة العربية ومناطقها المختلفة ، والتي يرجح ان تكون الموطن الاصلي للجمال العربية ، فهي بسبب من أحوالها المناخية والجغرافية لعصورها الاخيرة ، أضحت كنزا يخفي بداخله كثيرا من مخلفات العرب الاقدمين . ولكن نتيجه جهود علماء الاثار والمستكشفين المتواصلة ، تتكشف امامنا يوما بعد اخر مزيدا من المعلومات الثمينة عن تاريخ ارض العرب القديمة وعن واقع حياة سكانها .

ففي كتاب أثاري مصور يعكس جهودا قيمة ومضنية بذلها العاملون على اخراجه ، تتوضح معالم مختلفة لحياة الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، وعلى الرغم من كون الكتاب اعلامي ، حيث لم تقترن المصورات بشروحات تفصيلية علمية كاملة ، الا ان بعض الرسومات عثر عليها بمعية كتابات عربية جنوبية مما يسهل تحديد تاريخها التقريبي ، مع الاخذ بنظر الاعتبار من ان الرسوم المختلفة ليست بالضرورة دائما تؤرخ من زمن الكتابات المجاورة لها ، فقد تكون سبقتها او لاحقه لها ، لذلك فهي بحاجة الى دراسة علمية دقيقة مقترنة بدراسة المنطقة التي وجدت فيها هذه الرسوم ، كما حصل مع رسوم الحيوانات في كلوه حيث أستطاع الباحثون من تشخيص زمن الرسومات بدليل بعض الالات الحجرية في الموقع نفسه[٥١] .

وتتعرف من خلال رسوم الكتاب ، الى صور بعض الحيوانات التي

---

(٥١) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية : اصدار ادارة الآثار والمتاحف وزارة المعارف . المملكة العربية السعودية ١٩٧٥ .

يستحيل وجودها اليوم في تلك المناطق من الجزيرة بسبب الاحوال الجغرافية والمناخية الحالية ، ومنها صور الثيران والخنزير والنعام والاسد[٥٢] ، وهذا ما يدعم الرأي القائل بواقع مناخي للجزيرة العربية في عصورها القديمة مغاير لما هو عليه اليوم • وبالاضافة الى هذه الصور ، تكثر صور ورسومات الابل ومن مناطق مختلفة من الجزيرة العربية •

فمن منطقة نجد والقصيم ، وعلى صخور جبل براقه تشاهد صور تجريدية حفرت على الصخر لجمل عربي ، يرجع تاريخه بالاستناد الى المخلفات الاثرية المرافقة له الى حدود الفترة الميلادية • وصورة أخرى من موقع جبل برمه (٦٠ كم شرقي الرياض) لجمل ومعها نقوش ثمودية ترجع الى القرن الرابع او الخامس ق • م •[٥٣] •

ومن المنطقة الشمالية للمملكة العربية السعودية ، والى مسافة ٤٠ كم شرق حائل ، يقوم جبل يعرف بالمليحية تبرز على صخوره صور الجمال بجانب الابقار والاسود والنعام[٥٤] •

وقريب منه جبل يعرف باسم ياطب تكثر صور الجمال على صخوره بالاضافة الى صور النخيل وأسد ومعها كتابة ثمودية تعود للقرن الثالث ق • م • ومن المهم أن نشير الى ان هذين الموقعين (المليحية وياطب) قريبان من طريق الحج العراقي المشهور باسم طريق زبيدة[٥٥] •

كذلك تتعرف على صور الجمال وحيوانات أخرى من مواقع صخرية قريبة من سكاكا ومن هذه الصور ما نحت على علامات قبور قديمة ترجع الى

---

(٥٢) نفس المصدر ، ص ٢٢ .
(٥٣) نفس المصدر ، ص ٢٦ ، ٣١ .
(٥٤) نفس المصدر ، ص ٦٥ ، ٧٤ .
(٥٥) انظر الخارطة على الصفحة ٦٦ من نفس المصدر ؛ كذلك الصور على الصفحة ٦٨ .

حدود القرن الثالث ق . م . وهي عبارة عن كتل صخرية كبيرة الحجم مستطيلة الشكل تنصب كل ثلاثة أو أربع منها بشكل قائم[٥٦] . تعرف في بعض مناطق أوربا باسم Megalith .

أما المنطقة الشمالية الغربية ، والتي تعرف بأرض مدين أو دادان ، فهي غزيرة بمخلفاتها الاثرية من قصور وأسوار ومعابد ، وكذلك مئات النقوش المعينية والدادانية والثمودية والنبطيه ، ومن مدن هذه المنطقة ذات الشهرة التاريخية العلا (دادان القديمة) والحجر (مدائن صالح) وتيماء .

وبالقرب من روافه التي تبعد مسافة (٧٤ كم) غربي تبوك ، والتي فيها بقايا معبد روماني نبطي يرجع عهده للقرن الثاني الميلادي ، عثر على رسوم ابل ونعام بسعية كتابات ثمودية على صخور جبل قريب[٥٧] .

وعلى صخور جبل غنيم الذي يبعد ٩ كم جنوب شرقي تيماء ، حفر أسم شخص بالكتابة الثمودية تجاورها صورة جمل[٥٨] .

وعلى مقربة من نجران في الاقسام الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية ، تقوم بقايا أثرية من أبرزها بناء حجري كبير يعرف بالاخدود ، وتحمل بعض حجاراته رسوما ونقوشا معينية وسبأيه وكوفية ، ومنها صورة جمل في حالة جري يجاور نقوش سبئية . وقد نفذت الصورة بشكل فني متقن يتميز عن الاسلوب التجريدي أو البدائي الذي ألفناه في الرسوم السابقة . ومن الجدير بالذكر أن الصورة الوحيدة للفرس هي التي نحتت على واجهة احدى حجارات جدار مبنى الاخدود ، والصورة بتنفيذها المتقن ومستواها الفني الرفيع ، تبدو معاصرة أو قريبة من زمن نحت صورة الجمل ، ولان بناء

---

(٥٦) نفس المصدر ، ص ٨٦ .

(٥٧) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(٥٨) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

الاخدود يرقى الى فترة قريبة من العهد الاسلامي أي لحدود القرن الخامس الميلادي ، لذلك يبدو جليا عدم غرابة وجود صورة الفرس • ولكن هـذه الصورة الوحيدة والفريده في علمنا لحد الان تشير بوضوح الى ندرة الخيـل في الجزيرة العربية من جانب ، وربما تشير الى بدايات انتشارها مـن جـانب اخـر(٥٩) •

ان صور الجمال هذه قد تكون مثار خلاف حول تاريخها ، وهل هي تمثل جمالا مدجنة أم وحشية ، واذا كانت وحشية فذلك يشير الى فترات بعيـدة من تاريخ هذا الحيوان على الارض العربية ، وللافتراض الاخير ارجحيته التي يسندها صور حيوانات ظهرت مع صور الجمـال ، والتي كانت تعيش ارض الجزيرة العربية خلال فترات تاريخية قديمة شهدت الجزيرة العربيـة ظروفا جغرافية ملائمة لمعيشة هذه الحيوانات مثل النعام والثيران والابقار والاسوده

ولربما تكون صور الجمال نفذت من فترات تاريخيه لاحقة لزمن صور الحيوانات الاخرى ، وبخاصة وأن المناطق التي حفظت لنا هذه الصور تمثـل معالم بارزة وشاخصة ومستمرة وتقع على مفترق طرق او امتداداتها او بالقرب من مصادر الماء كالينابيع أو الواحات أو الوديان ، وهذا الواقع يفترض ان شهدت هذه المواقع الانسان العربي منذ أقدم عصوره والى وقت قريب ، ويتأكد ذلك من وجود كتابات من عصور مختلفة في مكان واحد مثل الكتابة السبأية والثمودية والكوفية ، مما يؤكد تسجيلها من فترات تاريخية متباينة وربمـا ينسحب هذا الامر على موضوع الرسوم •

ومهما يكن من أمر تاريخ هذه الرسوم ، حيث تتوضح أهميه الدراسـة العلمية الدقيقة لها ، فالامر الاهم والذي تبرزه وتؤكده هذه الرسوم ، وبخاصة انتشارها في جميع أقسام الجزيرة العربية ، كون الجمل هو الحيوان الرئيس

---

(٥٩) نفس المصدر ، ص ١٧٠ ، ١٧٦ •

والاكثر شيوعا وانتشارا بين العرب ، وبالتالي طبعت صورته مخيلة الفنان العربي القديم .

وبعد هذا المسح الشامل للجزيرة العربية واطرافها ومراكز الحضارات القديمة المجاورة لها ، والذي برزنا من خلاله معظم المخلفات الاثرية للابل ومن مختلف الفترات التاريخية . ربما يثار السؤال التالي وهو ، لماذا نربط بين الابل وتدجينها وبين العرب من سكان الجزيرة القدماء دون غيرهم من شعوب الشرق الادنى القديم ، الذين كان موطنهم الاصلي الجزيرة العربية قبل ان تعرفهم اطرافها في بلاد وادي الرافدين أو الشام ، ومنهم الاكديون والاموريون والكنعانيون وغيرهم ؟ ولاجل التركيز نوضح اجابتنا في النقاط التالية :

١ ـ بينت لنا المخلفات الاثرية معرفة مراكز الحضارات القديمة في العراق وسوريا ومصر بالجمل في طوره الوحشي وربما أصطيد الجمل مع غيره من الحيوانات ضمن فترات مرحلة الصيد التي عاشتها هذه المراكز الحضارية .

٢ ـ أزدهرت مراكز الحضارات القديمة في مناطق وديان انهار كبيرة كدجلة والفرات والنيل وأعتمدت في مواصلاتها هذه الانهر بشكل رئيسي ، كما غطى الحمار بعض احتياجاتهم المحدود في النقل البري ، وعليه لم تبرز الحاجة بعد لتوظيف حيوان بخصائص وقدرات الجمل .

وربما امكننا أن نضيف ان الاراضي الزراعية الغرينية والاراضي الموحلة بسبب كفيضانات الانهار ونسبة سقوط الامطار العالية لا تتلائم مع خصائص خف الجمل وتعرقل سيره .

٣ ـ ان الاحوال المناخية والجغرافية للجزيرة العربية لم تكن بعد قد شهدت وضوح حالة الجفاف واطراد مساحة الصحراء في الفترات الزمنية التي

هاجر فيها الاكديون والاموريون جزيرة العرب ، لذلك عرفنا انتقال بعضهم مع الحمار وبخاصة الاموريون[٦٠] .

٤ ــ ان الجماعات السكانية التي واصلت سكنى جزيرة العرب بعد أنسلاخ بعضها في هجرات الى الاطراف ، عايشت التبدل المناخي والجغرافي بوضوحه التام ، لذلك سعت بكل قدراتها لايجاد سبيل يعينها في التغلب على الصعوبات الناجمة عن طبيعة الاحوال البيئية ، فكان الجمل ، ليفي بكافة متطلبات الحياة الصعبة في الاحوال البيئية الجديدة وليكسر طوق العزلة التي فرضته الطبيعة ، ويتيح أمام أصحابه فرصة المشاركة والمساهمة في أحداث تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم .

٥ ــ لم تعرف اللغة الاكدية من العهد الاكدي باعتبارها تمثل لغة أقدم النازحين من الجزيرة الى أرض وادي الرافدين ، أسم الجمل ، كذلك شأن لغات بقية شعوب الشرق الادنى القديم في سوريا ومصر[٦١] .

٦ ــ آن أقدم تسمية غير عربية للجمل ، هو الاسم الذي أطلقه السومريون على هذا الحيوان ، فحيوان النقل عند السومريين هو الحمار بالاضافة الى تركيزهم في عملية النقل على المواصلات النهرية . ولكن بحدود الالف الثانية ق . م . يفد عليهم حيوانان جديدان ، أحدهما دخل العراق

---

(٦٠) فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ج١ ترجمة جورج حداد دار الثقافة بيروت ١٩٥٨ الصورة بين الصفحتين ٦٤ ــ ٦٥ انظر ص ٨٢ .

كذلك لا نعرف أية اشارة للجمل في نصوص ماري (على الفرات بالقرب من البو كمال) المجاورة لبادية الشام والتي تعد من مراكز الاموريين الرئيسية وكان أوسع ازدهار لها في حدود القرن التاسع عشر ق . م . أنظر :

(W. F. Albright, from the Stoneage to Christianity, New York 1957. P. 165).

(٦١) CAD. I-J, P. 2.

من أقسامه الشمالية الشرقية وهو الحصان فأطلق عليه السومريون تسمية وصفية « حمار الجبل » بينما عرفوا الثاني ، الجمل ، من صوب الاقسام الجنوبية للعراق المتاخمة لموقع الخليج العربي ومناطق الاهوار والمستنقعات ، فأسموه « حمار البحر » ، وسنعكف على هذه التسميات في موضوع أسماء الابل .

٧ ـ عرف هذا الحيوان باسمائه العربية (جمل ، ابل ، ناقة) مع ازدياد وتوسع احتكاك العراقيين بسكان الجزيرة العربية ، أو بعد كسر الطوق الطبيعي من قبل العرب بتدجينهم الجمل الذي سهل عليهم انوصول الى مراكز الحضارة العراقية القديمة . عندها تزداد الصلات بين الطرفين تشابكا ، وتأخذ أسماء ورسوم الجمل بالازدياد في الاستعمالات العراقية المختلفة .

لذلك جميعا ربطنا بين الابل وبين العرب دون سواهم من شعوب الشرق الادنى القديم . ان من شدة تأكيد هذا الارتباط أنه يندر ان تصادف نصا مسماريا من نصوص العهد الاشوري يتكلم عن العرب دون أن يشير الى حيوانهم الرئيسي الجمل .

أسماء الابل :

ان أولى التسميات غير العربية الاسم الذي أطلقه السومريون على هذا الحيوان ، ودونوه مقطعيا في كتابتهم وهو anše-a. ab. ba ومعناه « حمار (الارض) البحر (يه) » وجائتنا هذه التسمية الوصفية من معجم لغوي قديم وضعه العراقيون القدامى لترجمة وتعريف المفردات والافعال السومرية بما يقابلها في الاكدية ، أصطلح على تسميته نسبة الى أول مفردة وردت فيه وهي ḪAR. RA—ḫubullum ، وأعتمدت كتسمية لهذا المعجم بين المختصين . ويرجع زمن تأليفه الى مطلع الالف الثانية بحدود الفترة

الحضارية المعروفة بأسم فترة العهد البابلي القديم من أدوار حضارة العراق القديم • ويقدم لنا هذا المعجم تسمية أعتمدتها اللغة الاكدية مرادفا للاسم السومري للجمل وردت بصيغة i-bi-lu • كما أطلق السومريون تسمية ثانية على الجمل من النوع البكتري وردت بالشكل التالي :

am - si. Kur - ra an [si]. ḫa - ra - an

وترجمته « الثور الوحشي الجبلي من الخارج (الاجنبي) » •

يقابله في اللغة الاكدية لفظة i-bi-lu أيضا •

وللتمييز بين النوعين من الجمال ، العربية منها والبكترية ، وصف السومريون النوع البكتري بكونه ذو حدبتين ، كما أعتبروه أجنبيا أي قادما من الخارج • وربما تكون في هذه الاشارة الوصفية للجمل البكتري تأكيدا بقدم معرفة العراقيين بالنوع العربي من الجمال وتآلفهم مع شكله ، لذلك اعتبروا النوع البكتري غريبا أو أجنبيا[٦٢] •

يتوضح لنا مما سبق ، أن لفظة « ابل » كأسم على على حيوان معين ، وما يقابلها بالسومرية كانتا معروفتان على فترة العهد البابلي القديم • وتتعرف أيضا على نص سومري عثر عليه في مدينة نفر يرجع زمنه الى نفس الفترة التاريخية ، أن الجمل البكتري عرف مدجنا[٦٣] • مما يرجح كون النوع العربي عرف مدجنا من نفس الفترة ان لم يكن أسبق منها • والمرجح أن تكون لفظة ابل أخذت عن العربية ، لانها لفظة خاصة بثقافة هؤلاء القوم اولا ، ولانها لم ترد في بقية اللغات السامية[٦٤] •

---

(٦٢) The Assyrian Dictionary, of the Oriental Institute of the University of Chicago Editorial Board: I. J. Gelb, B. Landsberger, A. Leo Oppenheim. (CAD) Chigaco-USA 1960 I. J. P. 2.

(٦٣) CAD, ibid. P. 2.

(٦٤) Ibid.

وتكشف لنا الكتابات المسمارية ان لفظة ابل ظهر أستخدامها كمقابل للاسم السومري السابق الذكر للحيوان قبل لفظة « جمل » التي توضع أيضا في بعض المعاجم اللغوية القديمة كمرادف للاسم السومري •

ولكن على العهد الاشوري ، أستخدمت التسميتان ابل وجمل على النوع العربي بينما تظهر تسمية جديدة هي udru للنوع البكتري من الجمال • ولكن يشيع استخدام لفظة جمل في النصوص الاشورية بالصور التالية ومرفقة بالعلامة الدالة على حيوان وأحيانا بدونها :

GAM. Mal, Anše. Gam - mal, Anše. A. AB. BA

ونرى ضرورة الاشارة ثانية الى ارتباط لفظة جمل مع العرب في النصوص التي وصلت ايدينا من العهد الاشوري •

أما الجمال من النوع البكتري ، فقد أطلق عليها الاشوريون تسمية « الجمال التي تكون ظهورها من حدبتين » كما أستخدموا اللفظة الجديدة لها udru (٦٥) •

وفي الوقت الذي يغيب فيه تمييز جنس الحيوان في الاشارات الاولى للابل ، أطلق الاشوريون تسمية لانثى الجمل بصيغة anaqate (٦٦) وكذلك :

mi anše a-na-qa-a-te/ti (٦٧)

وهكذا تثبت لنا المصادر المسمارية ، أن لفظتي ابل وجمل عرفتا منذ فترة العهد البابلي القديم مع أسبقية زمنية محدودة للفظة ابل • كما عرفت لفظة ناقة على العهد الاشوري •

---

(٦٥) CAD, G. P. 35.

(٦٦) CAD, A. P. 112.

(٦٧) W. Von Soden: Akkadisches Handwörterbuch, Band I, A-L, P. 50 wiesbaden 1965 (AHW).

مع ترجيحه أن تكون اللفظة مستعارة من العربية (ناقه) .

أما اللغة العبرية فقد حفظت أسم الحيوان بصيغة « جمل »
حيث يلاحظ شبها قويا بين حرف الجيم وبين شكل شبحي او تجريدي للجمل[٦٨] .

أما في السريانية وريثة الارامية فتعرف منها تسميتان :
هبلتا ، ابلتا = قطيع من الابل
كملا = جمل . وللناقة كملتا[٦٩] .

وحفظت لنا السبأية هذه التسمية
ا ب ل = ابل

كما عرفت لفظة بعير للدلالة على الجمال أيضا[٧٠] . علما أن لفظة بعير في العربية كما في السبأية تعني الانعام بشكل عام[٧١] . والبعير في القرآن الحمار ، وفي زبور داود : أن البعير كل ما يحمل . ويقال بالعبرانية لكل ما يحمل بعير[٧٢] .

أما بعض اللغات الهندو أوربية الاصل ، فللحيوان فيها أسم مغاير تماما عن لفظه في الاسماء العربية ، وهذا يبعد أحتمال كون لفظتي « ابل وجمل » أجنبيتان ففي الايرانية الحديثة « شتر » وجمعها « شترها » أو « شتران » وهي لفظة متطورة عن الفهلوية ، وكذلك في لغة الآفستا « أو شترا » ، ومن

---

(٦٨) The Ency. of Islam, Vol. III, ibid, P. 665.

(٦٩) Louis Costazs. J. قاموس سرياني عربي ص ٧٢ ، ٤٩ بيروت ١٩٦٣ .

(٧٠) نصر عبدالله ناصر : « هيكل اللغة اليمنية القديمة » مجلة الثقافة الجديدة اليمانية عدد : ٨/٧ ، آب ١٩٧٦ ، عدن .

(٧١) أغناطيوس جويدي : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة . القاهرة ١٩٣٠ ص ٣٠ .

(٧٢) ابن منظور : لسان العرب مجلد ٤ ص ٧١ . دار صادر بيروت ١٩٥٦ .

أسم الجمل في الفهلويه يتركب اسم زرادشت نبي الديانة الايرانية القديمة ، حيث يتألف أسمه من مقطعين :

زرا ــ ومعناه أصفر ، الذهب ، الذهبي ، المسن

أوشترا ــ الجمل

أما في اللغة الكردية فهو « حوشتر » وجمعه « حوشتره كان » أو « حوشتران » ولا تعرف اللغتان تسمية خاصة لانثى الجمل(٧٣) .

ويبدو محتملا أن التسمية التي أستخدمها الاشوريون لتعيين الجمل البكتري وهي udru ، أخذوها عن سكان ايران القدماء المجاورين لهم ، بخاصة وان نشاطات الاشوريين السياسية والاقتصادية شملت مساحات كبيرة من بلاد ايران الشمالية . ولربما أيضا وصل الجمل البكتري الى العراق من هذه الاقسام عبر سلاسل جبال زاكروس وبخاصة وأن هذا النوع من الجمال له مقدره عالية في السير فوق الاراضي الصخرية والباردة وتسلق الجبال .

أما الاسم الذي أطلقه اليونان عن الجمل فهو Kamelos ، كذلك عرفته اللاتينية باسم Camelus ، وواضح جدا الاصل العربي لهاتين التسميتين وتسربهما الى اللغات الاوربية الحديثة بصيغة Camel .

توضح لنا صيغ التسميات المختلفة التي عرضنا لها سابقا الملاحظات التالية :ــ

١ ــ كان التمييز في الاسماء بين النوعين الرئيسيين للابل ملازما لمعرفتنا

---

(٧٣) ان أسماء الحيوان في الايرانية والكردية تفضل زميلي الاستاذين الدكتور امين سعيد من قسم اللغات الشرقية بكلية الاداب ، والدكتور كمال مظهر من قسم التاريخ في نفس الكلية ، بتزويدي اياها ، أغتنم هذه الفرصة لتسجيل شكري الجزيل لهما .

التاريخية بهذا الحيوان • ويبقى التمييز مستمرا في لغات الشعوب القديمة ويستمر حتى الوقت الحاضر •

٢ ـ تشير التسميات السومرية للحيوان الى المناطق التي عرفوه من خلالها وفي ذلك تمييز بيّن لنوعين من الابل مع تحديد أوضح لمناطق تواجد كل منهما بقدم المصادر التاريخية المتوفرة •

فالنوع البكتري يرتبط أسمه الوصفي بالمنطقة الجبلية الشمالية الشرقية لارض الرافدين ، بينما يرتبط الجمل العربي بالاقسام الجنوبية، وهي مناطق البطائح والاهوار والخليج العربي ، وهي المنطقة الملاصقة لجزيرة العرب •

٣ ـ أطلق السومريون في تسميتهم للنوع البكتري لقب الاجنبي أو الخارجي كما تبينا ذلك من الاسم السومري ، بينما يختفي مثل هذا اللقب عن النوع العربي ، ولهذا التمييز تفسيران :

أ ـ ان النوع العربي من الجمال أقدم توغلا في أرض الرافدين من النوع البكتري ، وهذا يتفق مع طبيعة الاقسام الجنوبية لبلاد وادي الرافدين التي تعد أرضا مكملة طبيعيا لارض الجزيرة العربية لذلك لم يعتبره السومريون غريبا عليهم •

ب ـ أن يكون اصحاب الابل وهم العرب أو غيرهم من سكان الجزيرة القدماء من اوائل سكنة بلاد وادي الرافدين جنبا الى جنب مع السومريين ، ولكن بسبب غلبة اللغة والكتابة السومرية فقد شاع الاسم السومري • ولكن بعد تركز أصحاب الابل في الاستيطان وممارستهم لدورهم السياسي والاقتصادي في مجرى الاحداث الحضارية لبلاد وادي الرافدين ، أخذت مفردات لغتهم وتسمياتهم تشيع في الاستخدام على نطاق لغة الحضارة العراقية •

ومما يجدر التنويه به في هذا الخصوص أن واحدة من أولى الممالك التي ظهرت من أقدم الادوار السياسية لحضارة بلاد وادي الرافدين وهو عصر فجر السلالات ، وكان ظهورها في حدود (٢٦٠٠ ق • م •) السلالة التي حكمت في مدينة كيش (تعرف بقاياها بتل الاحيمر وتقع مسافة ١٥ كم شرق مدينة بابل القديمة) حيث كان بعض أمرائها يحملون أسماء سامية بل عربية على وجه الخصوص مثل كلبم (كلب) وأرويئم (عروه) أو (أروه)(٧٤) •

٤ ــ عرفت حضارة العراق القديم لفظة « ابل » منذ مطلع الالف الثانية ق • م • وبقيت مستمرة حتى وقتنا الحاضر في اللغة العربية • ومما يجدر التنويه به أن التوراة عرفت لفظة « جمل » ولم تستخدم لفظة ابل عند اشارتها الى هذا الحيوان ، بينما أستخدم القرآن الكريم لفظة « ابل » بدلا من جمل عند اشارته لهذا الحيوان ، فربما يكون في ذلك خصوصية عربية أوضح للفظة « ابل » • كذلك عرفت لغة الحضارة العراقية القديمة لفظة « جمل » بعد لفظة « ابل » ثم عرفت لفظة «ناقه» •

ان لفظة « ابل » هي الاقدم في الظهور في الكتابات العراقية القديمة ، ولكن لفظة « جمل » هي الاوسع انتشارا في النصوص وبخاصة الاشورية منها ، وربما يكون سبب شيوع لفظة « جمل » في النصوص الاشورية مفاده كثرة صلات الاشوريين بالعرب الشماليين المتأثرين باللغتين الارامية والعبرية والتي كانت لفظة « جمل » شائعة فيما بينهم أكثر من لفظة « ابل » • ومما يرجح هذا الافتراض أن اليونان والرومان الذين كانت مراكزهم في سوريا ومصر وبعض أقسام أرض الجزيرة الفراتية ، وهم بذلك قريبون من الاقسام

(٧٤) J. Pritchard. Ancient Near Eastern Texts, New Jersy 1969 P. 265.

الشمالية للجزيرة العربية ، حفظوا لنا في مدوناتهم لفظة « جمل » ونقلوها الى اللغات الاوربية الحديثة .

بينما بقيت لفظة « ابل » نادرة الاستعمال الى زمن التدوين العربي الذي يعد القرآن الكريم من نماذجه الاولى والواسعة .

فهل يشير ذلك الى أن لفظتي « ابل » و « جمل » من مصدرين مختلفين في الجزيرة العربية ؟ كأن تكون الاولى من وسط وجنوب الجزيرة ، بينما الثانية من شمالها ، ولهذا الرأي أرجحيته لان لفظة ابل شاعت في العربية والسبأيه ، بينما شاعت لفظة جمل في العبرية والارامية .

وننتقل الان صوب المصادر اللغوية العربية لنتعرف من خلالها على أسماء هذا الحيوان ومعانيها ، فلربما تلقي مزيدا من الاضواء على تاريخ هذا الحيوان وعلاقته بالعرب .

فالإبِلُ والابْلُ : معروف لا واحد له من لفظه ، وهي مؤنثة لان أسماء الجموع لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم . وأقل ما يقع عليه اسم الابل الضرمة وهي التي جاوزت الذود الى الثلاثين ثم الهجمة وأولها الاربعون الى ما زادت ، ثم هنيده ، مائة من الابل . ويجمع الابل آبال[٧٥] .

أما الجَمَل : الذكر من الابل : وقد أوقعوا الجَمَل على الناقه فقالوا شربت لبن جملي وهذا نادر . والجمع أجمال وجمال وجمالات وجماله وجمائل[٧٦] .

أما الناقه : الانثى من الابل والجمع أنوُق" وانْؤُق[٧٧] .

---

(٧٥) لسان العرب . مجلد ١١ ، حرف اللام ص ٣ .

(٧٦) نفس المصدر ، ص ١٢٣ .

(٧٧) نفس المصدر ، مجلد ١٠ حرف القاف ص ٣٦٢ .

يلاحظ مما سبق أن لفظة ابل هي أساس التسمية العربية للحيوان ، وكأن لفظتي جمل وناقه أريد بهما وصفا لجنس الحيوان ، بقول اللغويين العرب للجمل ، الذكر من الابل وللناقة الانثى من الابل .

كذلك فان معظم المؤلفات التاريخية واللغوية العربية التي تطرقت لهذا الحيوان جعلت من لفظة « ابل » عنوانا لموضوعاتها مثال ذلك « كتاب الابل » في المخصص لابن سيده ، وباب « الابل » في كتاب الافصاح في فقه اللغة(٧٨) وغيرها من المؤلفات .

لذلك ، وبما ان الابل وأصحابها يتنقلون ويتحركون على شكل مجموعات كانت التسمية التي تشير الى مجموعة من هذا الحيوان هي التسمية الاولى التي عرفها العراقيون القدامى مع أطلالة أصحاب الابل عليهم . وعندما زاد أحتكاكهم بالعرب عرفوا بقية التسميات التي درج عليها العرب لاسماء حيوانهم الرئيسي ، فعرفوا لفظة جمل وناقه ، وكان ذلك بشكل واسع وواضح على العهد الاشوري الذي شهد أوسع الصلات مع عرب الجزيرة العربية .

وعلى الرغم من ذلك ، يبقى موضوع منشأ تسمية الابل ومعناها من الموضوعات التي تنتظر المزيد من الدراسات اللغوية من خلال التراث اللغوي العربي المحفوظ وكانت للشيخ عبدالله العلايلي محاولة الريادة في هذا الاتجاه ، وربما كان اخفاقه (على رأينا) يرجع لتعذر المصادر المسمارية عليه .

يرى العلايلي أن أصل جذر كلمة « ابل » ميثولوجي مؤلف من (أب) والتي يرى أنها مثل (أبو) السومرية التي تعني المرعى والزرع والخصب . ومن لفظة (ايل) التي تعني آله ، فيكون المعنى آله الرعاة(٧٩) .

---

(٧٨) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي : الافصاح في فقه اللغة ، ج٢ طبعة ثانية ، دار الفكر العربي .

(٧٩) الشيخ عبدالله العلايلي : المعجم . القسم الاول . المجلد الاول ، ص ٣٨ دار المعجم بيروت ، ١٩٥٤ .

ولكن اللغة السومرية تقدم لنا مقطع (ab) بمعنى الاب والبحر وشهر آب ، وليس بينها وبين المرعى والزرع أية علاقة[٨٠] • ولم يعثر في السومريات على مقطع له علاقة بالزرع أو الخضره سوى أسم آله مغمور وردنا أسمه بصيغة "Abu" عثر على تمثال له ولزوجته في تل أسمر من مواقع منطقة ديالى ، ويرجع زمنه الى حدود منتصف الالف الثالثة ق • م • وهو آله للخضرة والزرع[٨١] • ولان « آبو » أسم آله ، فلا يستقيم معناها مع لفظة « ايل » التي تعني اله ايضا ، فالاسلوب المتبع الذي جرى عليه السومريون والبابليون الذين دونوا بالخط المسماري هو أن يسبقوا أسم الآله بعلامة داله على الالوهيه وهي علامة محوره عن صورة النجمة •

ان الذي نعتقده في معنى لفظة « ابل » أن بينها وبين جذر فعل أكدي صلة قائمة • فالفعل الاكدي wabalu و abalu ، أبالو ، وبالو ، معناه ينقل ويجلب ويحمل • وأسم الفاعل منه wabilu و abilu ، ومعناه : الحامل والناقل • ونظرا لارتباط الابل منذ فترة تدجينها الاولى وعبر تاريخها الطويل وحتى وقتنا الحاضر بعملية النقل والحمل ، فالارجح ان تكون احدى المفردتين أساسا للاخرى •

كما نرى في أصل لفظة « جمل » ومعناها ، وجود صلة قوية بوظيفة هذا الحيوان الرئيسية وهي الحمل والنقل كما أشرنا ، فلربما يكون أسم « جمل » تحوير وتبديل في صوت الحرف الاول من الفعل العربي « حمل » علما أن أمر تحول نطق حرف الجيم الى حاء وبالعكس ، يعد أمرا متواترا في العربية مثال ذلك حس وجس بمعنى تعرف اليه •

---

(٨٠) P. Anton Deimel: Sumerisches Lexikon, Vol II P. 128 ROMA 1930 R. LABAT: Manuel D'Épigraphie Akkadienne P. 95 sign no. 128 Paris 1952.

(٨١) A. Parrot: SUMER. P. 341, Thames & Hudson. France 1960.

وأخيرا ، ربما تكون هناك صلة بين لفظتي « جبل » و « جمل » • فقد اعتاد العرب ان يطلقوا لفظة جبل على بعض الكتل الصخرية التي لا يزيد ارتفاعها عن بضعة عشرات من الاقدام ، فليس مستبعدا أن يشبهوا حيوانهم بالجبل ويشتقوا من هذه التسمية أسما لحيوانهم ، علما أنه هو أعلى حيوانات الجزيرة العربية ارتفاعا ، كما يوحي شكل سنامه بقمم الجبال ، هذا مع أن أحد مشتقات لفظة « جبل » وهي الجُبْله تعني السَّنام[٨٢] •

ومهما يكن من أمر المصدر الاصلي لاسماء هذا الحيوان ، فاننا نرجح عربية الاسم بدليل الصلات الوثيقة بين هذا الحيوان وبين أصحابه الاصليين، العرب ، أولا ، ولان جملة الدلائل اللغوية التي سقناها سابقا ترجح عربية الاسم ثانيا ، وثالثا ، لان كثيرا من أسرار العربية القديمة أختفت بين اللغات السامية التي وجدت طريقها للتدوين • وعندما تنجح الدراسات اللغوية في فرز الخصائص العربية من بين ركام التراث اللغوي السامي القديم ، سيمكننا عند ذلك التعرف بوضوح على كثير من خصائص العرب الحياتية القديمة •

العرب والابل :

تشير المدونات التاريخية الى صلة فريدة من نوعها بين العرب وبين الابل• فالكتابات الاشورية يندر أن تشير الى أحدهما دون الاخر • وان أقدم اشارة تاريخية الى العرب في المدونات الاشورية وردتنا من عهد الملك شيلمنصر الثالث عند تسجيله لوقائع معركة القرقار ، وهي المعركة التي دارت رحاها بين الاشوريين وبين ملك دمشق وملوك مجموعة من مدن الشام تحالفت معه ضد الاشوريين ، وضم هذا التحالف العسكري مجموعة أو قبيلة عربية بزعامة جندبو العربي ، وحارب العرب في هذه المعركة من فوق ظهور جمالهم • وتؤرخ هذه المعركة بعام (٨٥٣ ق • م •) كما يرد ذكر الجمال من بين الاتاوات التي

---

(٨٢) لسان العرب : اللام ص ٩٨ •

أستلمها الملك تجلات بلاسر الثالث (٧٤٤ ــ ٧٢٧ ق٠م٠) ، من بعض الملكات أو الاميرات العربيات ، ومنهن زابيبي وسمسي .

ويواصل الملك سرجون الاشوري (٧٢١ ــ ٧٥٠ ق٠م٠) باستلام الاتاوة السنوية من الملكة سمسي وكان من بين المواد خيول وجمال .

ويغنم سنحاريب (٧٠٤ ــ ٦٨١ ق٠م٠) الكثير من الجمال في حروبه ضد العرب ويتكرر ذكر العرب والابل في نصوص أسرحدون (٦٨٠ ــ ٦٦٩ ق٠م٠) فالابل من بين المواد التي أوقعها أسرحدون أتاوة على بعض الزعماء والملوك العرب .

وأخيرا يرتبط ذكر الجمل بالغنائم التي أحرزها أشور بانيبال (٦٦٨ ــ ٦٣٣ ق٠م٠) من العرب[٨٣] .

ومثلما فعل أسرحدون في حمل المياه فوق ظهور الجمال التي جلبها اليه ملوك العرب عند عبوره سيناء ليصل الى مصر ، أتفق قمبيز الملك الفارسي الاخميني (أواخر القرن السادس ق٠م٠) مع العرب أيضا لتذليل عبوره سيناء الى مصر ، فحمّل الجمال بالماء لذات الغرض[٨٤] ، كما شاركت فرقة من الجماله العرب في جيش أحشويرش الاول (القرن الخامس ق٠م٠) وكان العرب يركبون الجمال فيها « التي لم تكن دون الخيل في سرعة جريها »[٨٥] .

ويسمي بليني الجمل ذو السنام الواحد بالعربي وذو السنامين بالبكتري[٨٦] ، ويشير في كتابه المشهور « التاريخ الطبيعي » الى أن اللبان

---

(٨٣) رضا جواد الهاشمي : العرب في ضوء المصادر المسمارية . مجلة كلية الاداب ــ جامعة بغداد العدد/٢٢ ، السنة ١٩٧٨ ص ٦٣٩ ــ ٦٨٣ .

(٨٤) Herodotus, III, 7-9.

(٨٥) Herodotus, VII, 86.

(٨٦) Pliny: Natural History, London 1969, VIII, 67.

كان ينقل على ظهور الابل في أقسام العربية الجنوبية[٨٧] . وفي حديث تفصيلي له عن عملية تسويق اللبان من العربية الجنوبية الى سواحل البحر المتوسط ، تتوضح من حديثه أن منتجات العربية الجنوبية كانت تنقل على الجمال[٨٨] .

ويتكلم بليني باسهاب عن دور العرب التجاري في نقل الكثير من المواد التجارية بالاضافة الى منتجات جزيرتهم ، من مكان لاخر ، حيث تتبين من اشاراته المتعددة الى أن العرب كانوا حلقة الوصل الرئيسية في تجارة الشرق الادنى القديم منذ عهد هيرودتس والى وقته (أي منذ القرن الخامس ق.م. وحتى القرن الميلادي الاول) حيث كانت الاسواق العراقية والسورية ومنطقة كرمانيه (كرمان في الاقسام الجنوبية الغربية من ايران) تعرف نشاطات التجار العرب[٨٩] .

وتتأكد هذه النشاطات التجارية الواسعة للعرب من خلال نصوص قديمة أخرى ، حيث تتبين منها حركة واسعة للقوافل التجارية البرية بين أقسام للقوافل التجارية البرية بين أقسام الجزيرة العربية وأطرافها ، فالتجارة المعينيون يسجلون شكرهم وعرفانهم فالجميل للاله عشتار لحمايته لقوافل جمالهم أثناء محاربة قمبيز لمصر[٩٠] .

ان معظم المآثر المدونة التي نست الينا من الفترات التاريخية المختلفة ، تؤكد صلة الابل بالعرب دون سواهم من شعوب الشرق الادنى القديم .

فالقصائد السبع (وعلى رأي عشر قصائد) التي تعد من نماذج الشعر العربي القديم والتي تعرف بالمعلقات ، تتبين منها مكانة الابل في حياة العرب

---

(٨٧) Ibid. XII. 58.

(٨٨) Ibid. XII, 63-64.

(٨٩) Ibid. XII, 78-79.

(٩٠) The Cambridge Ancient History, Vol. III P. 310. Cambridge 1954.

وبخاصة للفترة ما قبل الاسلام • حيث يندر أن تقرأ قصيدة لا تجد فيها أشارة أو تشبيها للابل أو أسمائها أو نعوتها ، بينما يتضح غياب الخيل في هذه القصائد •

ففي قصيدتي طرفه بن العبد وزهير بن ابي سلمى لا تصادف ذكرا للخيل، بينما خصص طرفه بن العبد (٤٢) بيتا من معلقته للحديث عن الناقه •

والشاعر لبيد بن ربيعه يشير (١٢) مرة الى الابل مقابل (٣) اشارات الى الخيل • وحتى الشاعر عنترة الملقب بفارس بني شداد ، فيشير في قصيدته من المعلقات (١٥) مرة الى الابل مقابل (٥) اشارات الى الخيل •

ان الشاعر الوحيد من شعراء المعلقات الذي يكثر من الاشارة الى الخيل في قصيدته هو أمرؤ القيس ، حيث يشير (٤) مرات الى الابل مقابل (٥) اشارات الى الفرس ، وهذا يبدو لاول وهله أمرا مغايرا لواقع حياة العرب القديمة (بشكل خاص قبل الاسلام) وعلاقتهم بالخيل والابل •

ولكن بعد الامعان في قصيدة أمرىء القيس التي مطلعها (قفا نبك من ذكرى •••) نلاحظ ، كما لاحظ الدارسون للادب العربي ولهذه القصائد منه بالذات ، أن القصيدة تتعرض في أقسامها الاخيرة الى انقطاع واضح عن وحدة الموضوع ، وتحول أوضح لاحداث نهايتها عن بدايتها ، مما يثير الشك في نسبة بعض الابيات من هذه القصيدة لامرىء القيس • ويرى الباحثون في الادب العربي ، أن بعض أبيات هذه القصيدة ليست من صلبها بل تنسب الى شاعر اخر يعرف بلقب تأبط شرا(٩١) •

---

(٩١) استقينا هذه المعلومات عن القصائد من كتاب « شرح القصائد العشر » للامام الخيطب ابي زكريا يحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ . عني بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها محمد منير الدمشقي السلفي . وقام بطبعها على الاصل سنة ١٣٦٩ بمراجعة بعض رجال الادب عبدالهادي وأبو بكر محمد منير .

ان وجود الخيل بين العرب في فترات تاريخهم القديم ليس أمرا مستحيلا بل أنه نادر لاسباب كثيرة منها ، عدم ملائمتها لبيئة الجزيرة العربية وغلاء أثمانها ، وتكاليفها الباهضة التي قد لايقدر أن ينهض بها الا الموسرون من العرب • ومن الاخبار التاريخية التي تؤكد ندرتها بين العرب ، أن غزوة أحد وهي من كبريات الملاحم العسكرية بين المسلمين والمشركين ، والتي جيشت قريش فيها كل امكانياتها وجمعت حولها كل حلفائها من القبائل ، فكانت النتيجة أنهم أعدوا لهذه الحرب ثلاثة الاف مقاتل من بينهم (مئتان فارس) فقط ، بينما لم يكن بين صفوف جند الرسول البالغ عددهم (٧٠٠) مقاتل سوى فارسين(٩٢) • فاذا كانت قريش ، القبيلة الحجازية الموسرة والتي تكثر مدن الواحات في منطقتها ، والتي لها علاقات تجارية نشطه ببلاد الشام ، لم تستطيع من تهيئة اكثر من (٢٠٠) من الخيل ، فكيف حال القبائل العربية الاخرى التي لم تتوفر عندها امكانات قريش •

صحيح ان الجمال ثقيلة الحركة بالقياس الى الخيل التي تشتهر بسرعة مناورتها في الحروب ، ولكننا نعرف أمرا اخر بخصوص العلاقة بين الخيل والابل ، حيث ان للابل رائحة كريهة تهرب منها الخيل ، فيذكر لنا الملك الاخميني كورش الكبير أنه نجح من تشتيت خيول أعداءه في معركة ساردس (٥٤٦ ق٠م٠) بعد ان نقل جنوده الى ساحة المعركة على ظهور الجمال(٩٣) • حيث يبدو أن لرائحة الابل التي تنفر منها معظم الحيوانات وبشكل خاص الخيل والفيله(٩٤) ، كان لها دورا في انتصار كورش في معركة ساردس • ولعل وجود الفيلة في جيش الفرس مقابل جمال بني شيبان في معركة ذي قار المشهور

---

(٩٢) ابن الاثير : الكامل في التاريخ . المجلد الثاني ص ١٥١ دار صادر بيروت ١٩٦٥ •

(٩٣) Robinson. op. cit. P. 55.

(٩٤) Ibid.

كانت من عوامل هزيمة الفرس وانتصار العرب على الرغم من قلة عددهم وضعف سلاحهم .

وعلى الرغم من أن هدف هذه الدراسة ليس المفاضلة بين الخيل والابل ، ولكن أمر التأكيد على الابل دون الخيل بكونها حيوان العرب القديم ، كما توضحنا ذلك من الاشارات الكثيرة في المخلفات الاثرية وفي المدونات ، نقصد من ورائه التدليل على صحة اعتمادنا هذا الحيوان لتاريخ العرب القديم .

فبسبب البيئة الجغرافية ، ولاسيما أمر كمية المطر ونمو النبت اللذين يتوقف أمر أعتدالهما على عوامل جوية ، يجد العربي ساكن السهوب والبوادي نفسه مرغما على اعتماد تربية الانعام مصدرا لحياته وبقائه وفق أسلوب أملته عليه هذه الظروف ، ونعني بها التنقل والانتجاع ، وهي من دون شك طرق كسب العيش والانتاج الرئيسية لدى غالبية سكان الجزيرة العربية ، وهذه البيئة الجغرافية ذاتها ، ونمط الحياة التي تمليها ، فرضت على العربي ان يعتمد الابل اعتمادا كليا في كسب عيشه « ولا تتخطى الحقيقة اذا قلنا أنه لولا الجمل لظلت الجزيرة العربية قفرا غير مأهول »(٩٥) .

ويصف شبرنغر البداة من العرب بقوله « أنهم عالة على الجمل ملتصقين به » وان هذا الالتصاق الشديد دفع المؤرخين العرب لتقسيم سكان الجزيرة العربية الى قسمين أولهما « أهل الوبر » وهم الذين يعيشون في خيم ينسجونها من وبر الجمل ، يقابلهم « أهل المدر » وهم الذين يعيشون في بيوت من اللبن ولا نريد ان نخوض في تفاصيل الاستفادة التي يعولها العربي على الجمل ، فان كتب التاريخ واللغة الكثيرة تغنينا عن مثل ذلك .

ان الاسباب البيئية والجغرافية السابقة نفسها جعلت من الامكنة الصالحة لتربية الجياد وأستخدامها محدود في انحاء الجزيرة العربية . فالحصان باهظ

---

(٩٥) بلياييف : المصدر السابق ص ٨٥ .

التكاليف تتطلب عملية اقتنائه جهدا وأحوالا لا تتوفر في كل صوب من أرض الجزيرة العربية • فهو مثلا يشرب مرتين أو ثلاثا في اليوم الواحد ، ولا يدنو من الماء العكر ، وطعامه الشعير ، ان هاتين النقطتين بحد ذاتهما كفيلتان بجعل الحصان حيوانا من الدرجة الثالثة في خدمة سكان الجزيرة العربية بعد الجمل والحمار • يضاف الى ذلك تعذر مشي الحصان فوق بعض الاقسام الرملية الخفيفة من أرض الجزيرة العربية بسبب تركيب قدمه •

وبين البدو مثل شائع مفاده أن من كان عنده حصان وزوجه فهو أمرؤ لا يعرف الراحة[٩٦] ، لذلك أنحصرت فائدة الخيل في الغزو والصيد والرياضة•

وأخيرا ، أستطعنا تلمس الفرق بين مكانة كل من الخيل والابل في نفوس العرب من المادة اللغوية التي حفظتها لنا لغة العرب •

ففي كتاب « الافصاح في فقه اللغة » الذي أشرنا اليه فيما سبق ، وجل مادته منقول من كتب اللغة والفقه والتاريخ ، يجمع المؤلفان (٣٥) صفحة في الحديث عن الخيل • بينما تبلغ أعداد الصفحات عند الحديث عن الابل (٦٨) صفحة ، حيث جمع المؤلفان فيها أسماء الحيوان وأسماء أعضائه وأقسام جسمه ، وتسميات أعضاء الانثى والذكر ، ثم خصائصها وضرابها وحملها وتتاجها ، وأسماء أولادها حسب أسنانهم ، ورضاعها ونعوتها وحلبها ولبنها ونعوت ضرعها • ونعوت الابل في القوة وفي العظم والطول وتمام الخلقه والنجابه والكرم والسمنه والهزال والضمر • وفي أسماء أخفافها وألوانها وأوبارها واصواتها وهدير فحولها • كذلك عيوبها في أجسامها وفي قوائمها ، وتسمية المجاميع منها (مثل هند وهنيده أسم للمائة من الابل) • وكذلك أسماءها ونعوتها عند الرعي ، وضماء الابل ، وأسماء حركاتها من بروك ونهوض وسير الابل في سرعتها أو بطئها ، ونعوت ذلك ودرجات مسيرها ، في الليل

---

(٩٦) نفس المصدر : ص ٨٩ •

والنهار ، وهيئتها في السير وعيوبها في ذلك ، والصعب والذلول من الابل ، وحالات ركوبها وزجرها وقيودها وأطلاقها وأمراضها وأعمالها وأسماء الابل في حملها واسماء الرحل ونحوه وملحقاته وأجزاءه وأحزمته وما يزين الهودج[٩٧] .. الخ .

واوسع مما أشرت اليه نجده في المخصص لابن سيده في الجزء الخامس عن الابل الموسوم بكتاب الابل ، فيقع في (١٧٥) صفحة في حديث تفصيلي عن هذا الحيوان[٩٨] .

ان لغة أحتفظت بهذه الثروة اللغوية الواسعة لحيوان معين ، لا بد وان تشير الى صلة مصيرية بين أصحاب اللغة وبين هذا الحيوان ، وبمعنى اخر بين العرب والابل ، كما أن هذه الوفرة في المفردات والمصطلحات والمشتقات لا تنم الا عن علاقة تاريخية طويلة تؤكد ما ذهبنا اليه من اعتبار العرب أصحاب الابل الوحيدون من بين سكان الشرق الادنى القديم ، وربما أيضا تؤكد ما ذهبنا اليه من اعتماد تاريخ الجمل كحيوان مدجن بداية لتاريخ العرب ضمن النشاط التاريخي والحضاري العام لمنطقة الشرق الادنى القديم ، وربما نبيح لانفسنا الاستنتاج بأن مناطق تواجد الجمل في مراكز الحضارات القديمة في الشرق الادنى تشير الى تغلغل العرب الى تلك المناطق .

وعليه تكون البداية التاريخية لظهور العرب كقوم متميزين من اقوام الشرق الادنى القديم يرجع لحدود الالف الثانية ق . م . ، أما سبب شيوع ذكرهم وبداية تأثيرهم القوي في مجرى الاحداث التاريخية والحضارية الى

---

(٩٧) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي : المصدر السابق ص ٦٦٥ – ٧٠٠ (الخيل) ، الابل ص ٧٠٦ – ٧٧٤ .

(٩٨) المخصص لابن سيده : (ابي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) الكتاب السابع – كتاب الابل . المكتب التجاري – بيروت .

حدود الالف الاول ق٠م٠ بدليل اشارات النصوص الاشورية ، فيرجع في تقديرنا الى عاملين :

أولهما : مراكز القوى السياسية والحضارية في بلاد وادي الرافدين وسوريا ومصر ، التي أثرت بشكل او اخر في أخفاء معالم العرب ، بسبب من محدودية نشاطاتها المتعددة واعتمادها في هذه النشاطات على وسائط النقل المائية ، التي لها شهره تاريخية قديمة في كل من بلاد وادي الرافدين ووادي النيل ٠

ثانيهما : التطور الكبير في نشاطات مراكز الحضارات القديمة ، بخاصة بعد ظهور الامبراطوريات الكبيرة ، كالامبراطورية المصرية في حدود (القرن السادس عشر ق٠م٠) والاشورية (القرن التاسع ق٠م٠) ٠ يرافقه تطور نوعي كبير في وسائط النقل العالمية بشيوع طرق القوافل البرية عبر الجزيرة العربية لربط أسواق مراكز الحضارات القديمة ببعضها ٠ فاصبح للجزيرة العربية ولسكانها العرب ولحيوان نقلهم الرئيسي الجمل، أهمية أكبر كمركز ثقل في النشاطات الاقتصادية المدعمة بنشاطات سياسية وعسكرية ٠

وعلى الرغم من كون الاستنتاجات السابقة قد تبدو مقبولة عقليا ، لكن يبقى السؤال التالي قائما ، وهو لماذا تغيب مفردات اللغة العربية خلال تلك الفترات المبكرة من تاريخ العرب القديم ؟

قد يكون أمر تشابه المفردات وجذور الافعال وخصائص اللغة الاخرى بين العربية وشقيقاتها من لغات أو لهجات الشرق الادنى القديم ، أحد الاسباب

في اختفاء المعالم الخصوصية للعربية القديمة ، مثلما يكون امر التدوين بخط مميز وتأخره عند العرب حتى فترات متأخرة سببا وجيها اخر .

ولكننا نعتقد في أن محاولة دراسة مفردات العناصر الاساسية للحياة العربية القديمة ومقارنتها مع التراث اللغوي العربي المدون ، من قبل اللغويين ستساعد في رسم الخطوط العامة لخصائص اللغة العربية القديمة .